

DAMAGE BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

OU 190905

UNIVERSAL
LIBRARY

العرب وآدابهم

الجزء الاول

تأليف

افضل العلماء محمد يوسف كوكن ایم. اے. ایم. ک
(ماجستير في الآداب)

رئيس قسم اللغات العربية والفارسية والاردية (المتقاعد)
بجامعة مدراس

عميد الكلية العربية الجمالية بمدراس ۱۲

ملتزم الطبع

دار حافظه للطباعة والنشر

۱۳ حارة ميلاپورن، مدراس ۱۴

الهاتف: ۸۴۷۹۸۰

سچ رو بیات و نصف

كلمة المؤلف

الحمد لله الذى كفى والصلاة والسلام على عباده الذين

سطفى :-

امابعد : لقد يعرف كل احد منا بان موضوع « تاريخ العرب وآدابهم » داخل فى منهج الدراسة فى اكثر المدارس والكليات والجامعات فى الهند ، والكتب المطبوعة والمنشورة عن هذا الموضوع مختصرة او مطولة خارج الهند بالعربية وبالانجليزية لايسهل استيرادها بسبب مشكلة العملة الصعبة ، والكتب المولفة بالعربية من الاستاذ احمد حسن زيات والاستاذ جورجى زيدان وبالانجليزية من الاستاذ جب والاستاذ نكلسن لا توجد فى السوق فى كل وقت كالكتب العادية ، وتستورد النسخ منها فى بعض الاحيان ثم تنفذ ، ولذلك اقتنع الاساتذة والطلاب فى شمال الهند وحيدرآباد باختيار بعض الكتب التى الفت عن هذا الموضوع باللغة الاردية ، ولكن لا يستطيع طلاب ولايتى مدراس وكيرلا ان يستفيدوا منها بسبب ان كثيرا منهم لا يعرفون او لا يفهمون هذه اللغة ، ولما عرضت هذه المشكلة على فضيلة

(ب)

الشيخ زاهر عزب الزغبى ، مبعوث الازهر الشريف فى الهند ،
وعميد كلية الجمالية العربية ، فى مدراس ، والتمست منه تأليف
كتاب مختصر فى هذا الموضوع باللغة العربية ، اجبرنى على ان
أخذ هذه المهمة على عاتقى ، وان اولف كتابا يغنيا عن استيراد
كتب ضرورية مثل هذه من الخارج ، فالتفت هذا المكتب فى
الفترة التى كان يقضى فضيلة الشيخ اجازته فى القاهرة اى من
اول اكتوبر ١٩٦٥ م الى اول فبراير ١٩٦٦ م . ومكثت حتى عاد
فضيلة الشيخ الى الهند ، ولكن فى هذه المرة لم يعد الى مدراس ،
بل اقام فى دلهى ، فقابلته فى دلهى فى اليوم السابع من مايو
١٩٦٦ م واقمت معه عشرة ايام والتمست منه مراجعة نظره
فى هذا الكتاب ، فتكرم على وصحح اغلاطه ، وحسن عباراته
واسلوبه ، فناء الجزء الاول من هذا الكتاب بحمدالله باجمل ما
يمكن صورة وشانا ، واعترف بانى لاجد كلمات تصور وتعبر
عما فى ضميرى من المشاعر والنواطف للشكر والامتنان لفضيلة
الشيخ الذى لم يشجعى على تأليف هذا الكتاب فقط ، بل انه
ايضا قام بمراجعته مراجعة دقيقة شاملة ، وسيظل لسانى وقلمى
عاجزين عن تقديم الشكر الذى يستحقه .

(ج)

وليس من وظيفتي كرئيس لقسم اللغات العربية والفارسية والاردية
Head of Department of Arabic, Persian and Urdu
بجامعة مدراس اعداد الكتيب الدراسية مثل هذه وانما مهمتي هي
اعداد وتحقيق ومراجعة الابحاث العلمية التي توضح النشاط الثقافي
في حقول اللغات العربية والفارسية والاردية بجنوب الهند ، ولكن
الضرورة اجبرتني بان اتحمل بنفسى مسؤولية تأليف هذا الكتاب
كرئيس للجنة الدراسات للغات العربية والفارسية والاردية
Chairman of the Board of Studies in Arabic, Persian and Urdu
بجامعة مدراس ، ولولا تكرم حضرة السيد المحترم الدكتور لكشمن
سوامى مدليار مدير جامعة مدراس على باذنه السماح الصريح المشكور
لما استطعت ان اقوم باداء واجباتى من هذه الناحية ، فاه الفضل
على ، والشكر منى واجب اليه

وساقصر فى اداء واجباتى ان لم اقدم الشكر الجزيل الى
الاستاذ محمد عبدالله ، مدير مطبعة «نورى بريس» وحرمة السيدة
سلطانة ، صاحبة «دار سلطانه للطباعة والنشر» ، الذان سهلا
على مسئلة طباعة هذا الكتاب بهذه الحروف الجميلة ، رغم انها
لا تتوفر لهما المنفعة المالية ، لان طلاب اللغة العربية ليسوا

(د)

بكثيرين في مدراس وكيرلا ، واذن ليس لهما قصد بطباعة هذا
الكتاب الا تشجيع نشر الثقافة العلمية العربية في الهند ، واذنا
ادعو الله بان يجزيهما جزاء خيرا ، وهو الموفق والمعين لنا في
كل مكان وفي كل حين

محمد يرسف كوكن عمرى

رئيس القسم ولجنة الدراسات

للغات العربية والفارسية والاردية

بجامعة مدراس

مدراس
{ ١٣٨٦/٤/٣ هـ
١٩٦٦/٧/٢٢ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

العرب قبل الاسلام

شبه جزيرة العرب

شبه جزيرة العرب واقعة في الجنوب الغربى من قارة آسيا ،
يحيط بها الماء من ثلاثة جوانب : البحر الاحمر غربا ، والمحيط
الهندي جنوبا ، والخليج الفارسى شرقا ، وتفصلها صحراء النفود في
الشمال عن بقية القارة الاسيوية ، وتبلغ مساحة شبه جزيرة العرب
نحو ٢٥٦ مليون كيلومتر مربع وعدد السكان الآن يبلغ ١٠ ملايين
نسمة .

وتنقسم بلاد العرب الى خمسة اقسام كبيرة ، وهى تهامة
والحجاز ونجد والعروض واليمن - وكل منها ينقسم الى اقسام .
(١) تهامة : وهى الاراضى الواقعة بمحاذاة ساحل البحر
الاحمر الشرقى ، وسميت بهذا الاسم لشدة حرها وركود ريحها من
(التهم) ، وهو شدة الحر وركود الريح ، وسميت كذلك بـ (الغور)
لانخفاض ارضها ، يشتغل بعض سكانها بالزراعة وبعضهم بالتجارة
والملاحة وصيد اللؤلؤ .

(٢) الحجاز : هو اقليم جبلى رملى مستطيل ، يحده خليج العقبة شمالا والبادية الكبرى من النجد شرقا وبلاد عسير جنوبا ، وسمى حجازا لانه يحجز بين تهامة و نجد ، وطوله من الشمال الى الجنوب يبلغ ١٥٠٠ كياومتر ، وعرضه من الغرب الى الشرق يبلغ ثلاثمائة كيلومتر ، ويقطعه من الشمال الى الجنوب جبال السراة ، ويبلغ ارتفاع بعضها ٨٠٠٠ قدما ، وفيها مياه كثيرة وغابات وقرى أهلة بالناس ، ومن مدنها مكة والطائف ويشرب (المدينة)

(٣) نجد : سمي نجدا لارتفاع ارضه ، ونقيضه تهامة . وهو واقع فى وسط جزيرة العرب . وينقسم الى قسمين : النجد الشمالى وهو الحائل وما والاها ويسمونه نجد الحجاز والثانى نجد العارض وما يليه ويسمونه نجد اليمى ، ويرتفع سهل نجد عن البحر بنحو ١٢٠٠ متر ، وفيه جبال مشهورة ، منها جبل سلمى وجبل طويق وجبل أجا ، وهذه البلاد وما والاها يكثر فيها النخل والنخيل والذبل والخنم . واكثر اهلها بدو ، ويحيط بنجد من الشمال صحراء الشام ، ومن الغرب صحراء الحجاز ، ومن الجنوب البادية الكبرى ، ومن الشرق اسان من الدهناء ، وعاصمة نجد الآن الرياض وقاعدته الهفوف ، وفى الشمال جبل شمر وجبل سلمى ، الذان يتمتعان بكمية من المطر ، والاودية التى بينهما صالحة للزراعة ، فيها كثير من الحدائق ، ومن مراكرهما الرئيسية حائل ، وبشمر اجمل خيول الدنيا ، وفيها حمير وبقر واغنام كثيرة ، ويوجد عندهم نعام وفهود وابقار وحشية وثعالب وذئاب وغزلان وارانب وغيرها ، وفى الوسط وادى الرمة يتوافر المرعى فيه ، وتقوم فى هذا الوادى مدينتا عنيزة وبريدة .

(٤) العروض : هو اقليم في شرق نجد ، يشمل اليمامة والبحرين وسمى عروضاً لاعتراضه بين اليمن ونجد والعراق ، وسكنه بنوطسم وجديس من العرب البائدة في الجاهلية ، ويشغل اهل سواحل العروض بالتجارة وصيد اللؤلؤ والاسماك ، يجففونها ويصدرون مقادير عظيمة الى الخارج

(٥) اليمن : وهو اقليم جبلي . كثير الاودية ، وهو واقع في الجنوب الغربي من جزيرة العرب . وطوله من الشمال الى الجنوب بحر ٥٥٠ كيلومترا . ومن الغرب الى الشرق نحو ٤٠٠ كيلومتر ، ويقدر سكانها الآن بنحو اربعة ملايين ، كلهم مسلمون على مذهب الزيدية ، وفيهم قائل من اليهود ، واما اهل الحسير فهم وهابيون ، من مائه حنفاء وزيد ومخا والحديدة

وتنقسم ارض اليمن الى قسمين ، (١) قسم السهول وتسمى تهامة وهي الى البحر و (٢) قسم الجبال وهي سلسلة من جبال السروات ، متصل بعضها ببعض من الشمال الى الجنوب ، وجميع هذه الجبال آهلة بالسكان . وفيها عيون كثيرة ، تتكون منها انهار ، تسير في وديان خصبة ، منها مايسير الى الغرب ويصب في البحر الاحمر ، ومن حاصلاتها المدخن والقمح والشعير والعدس والسمن والذرة والفول والقطن والنيلة والتبغ والنباتات والخضراء والفاكهة بانواعها .

وفي شرق اليمن على الساحل الجنوبي من جزيرة العرب حضرموت ، وهذه منطقة جبلية كثيرة الاودية ، فيها نهر يجري طوال

العام وهو وادى القصر ، مصبه عند سيحوت ، وبالقرب منه كانت تقع ظفار عاصمة الحميريين القدماء ، وفي اول الوادى بركان برهوت لم ينطف بعد ، وعاصمة حضرموت مرفأ المكلاء ، ومن بلدانه الساحلية حورة والشحر وسيحوت ، وفي داخلها تريم وصيئون وشيبام

وبين حضرموت وعمان منطقة مهرة ، وهى بلاد مقفرة . قاعدتها قيشين ، وفيها آثار سبأ ، ومن محصولاتها المر والبخور ، ولغة سكانها المهري ، وقد تختلف باصولها عن العربية .

وعمان تقع فى الزاوية الجنوبية الشرقية من بلاد العرب ، كل ساحلها عامر بالبلاد والسكان ، وطوله من ثغر مربوط الى شبه جزيرة القطر نحو ٢٢٠٠ كيلومتر ، وعرضه فى داخل البلاد الى الغرب نحو ٣٠٠ كيلومتر ، عاصمتها الآن مسقط ، وفيها سلسلة الجبال اكبرها الجبل الاخضر ، ويرتفع الى نحو ٣٠٠٠ متر ، ويوجد بين هذه الجبال وديان كثيرة خصبة ، تسقى بواسطة مجارى ماء لها خزانات وسلود .

ومن حاصلات عمان التمر والحنطة والذرة والشعير والبرسيم والنبيلة والنباتات الخضراء وكثير من انواع الفاكهة لاسيما الجوز الهندى والمانجو ، ومن محصولاتها خشب الند والصندل والصمغ والصبر والتبغ ، وفى عمان كثير من المعادن كالحديد والرصاص والنحاس والكبريت والملح الجبلى ، وعلى سواحلها مغاصات اللؤلؤ ، واهلها يشتغلون بصيد السمك ، ويصدرون منها مقادير وافرة

العرب وآدابهم

طازجة و مجففة ، وعمان مشهورة بخيلها وبقرها وغنمها ، ومن مدنها صحار ودمار ومسقط .

و في هذه البلاد من جزيرة العرب صحارى مجدبة مقفرة ، اكبرها الربع الخالى او صحراء الدهناء التى تمتد من مقاطعة الحريق الى حدود اليمن و حضرموت جنوبا ومن وادى دواسر الى عمان شرقا ، ومساحتها ١٣٠٠٠٠ كيلومتر مربع ، وقد قطعها « برترام توماس » الرحالة الانكليزى فى فبراير ١٩٣١ م ، وكان اول من كشف عن اسرارها المجهولة .

ومنها الاحقاف ، وتقع فى شمال حضرموت ، وهى التى سكنها قوم عاد فى الزمان القديم ، واهلكوا بسبب عدوانهم وطغيانهم ومنها صحراء النفود . فهى قفار متسعة ذات رمال بيضاء او حمرة ، تغطى جزءا كبيرا من شمال الجزيرة العربية .

من هم العرب

العرب من اولاد سام بن نوح عليه السلام - وقد تسلسل الجنس البشرى الجديد بعد الطوفان من اولاد نوح : سام و حام و يافث ، فالعرب والعبرانيون والسريانيون والكلدانيون وغيرهم ، يتصل نسبهم بـ « سام » والجنس البشرى الاسود انحدروا من « حام » والشعوب الآرية فى قارة آسيا من « يافث » .

العرب البائدة

وقد اصطلح مؤرخو العرب ان يقسموا تاريخهم قبل الاسلام الى قسمين (١) العرب البائدة و (٢) العرب الباقية - والعرب البائدة

هم الذين بادوا قبل الاسلام ، مثل آل عاد وبنو سدوم وطسم وجديس وجرم والعمالة وغيرهم . ولم يبق منهم الا ذكرهم في الكتب والآثار ، وهؤلاء كانوا من بنى ارم بن سام ، فعاد سكنوا الاحقاف في غرب الربع الخالى ، فابادهم الله بسبب عسوانتهم وطمعهم . وكذلك ثدود الذين سكنوا بالحجر بين تبوء والحبار ، اهلكوا بالقارعة بسبب عتوهم وعنادهم ، واما طسم وجديس فاتخذوا سكنهم في بلاد البحرين واليمامة ، فاذل ملك طسم نساء جديس ، فتنازلوا وافنوا قبيلته الا واحدا منهم ، الذى استنثا بنى دحمان ، فبقوا جديسا حتى ابادوهم في حوالى سنة ٢٥٠ م ، وجرم قبيلة عربية ، جاءت من اليمن واقامت في مكة . وهاككت كذلك عاد وثمود ، واما العماليق فهم من اولاد لاوذ بن سام بن نوح ، سكنوا شمال الحجاز بمائلى جزيرة سيناء ، وفتحوا العراق ومصر ، وأسسوا بها دولة عظيمة ، فدولة حمورابى في العراق (وهو اسم اكبر ماوكها) كانت اهم دولة عربية في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد ، ولكن لما حاربوا العبرانيين ، قاتلهم شاول وداود ، حتى اقتروا كلهم من وجه الارض .

العرب الباقية

والعرب الباقية ينقسمون الى قسمين (١) القحطانية و (٢) العدنانية والقحطانية هم بنو قحطان بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح ، سكنوا في اليمن وماجاورها ، والعدنانية هم بنو عدنان بن ادد بن زيد بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، الذين سكنوا في مكة والحجاز وماجاورها ، وابراهيم ايضا

كان من ولد سام بن نوح ، فهو ابراهيم بن تسارخ بن ناحور بن ساروغ بن راعو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح.

واول من ملك اليمن هو يعرب بن قحطان ، فانه قهر قوم عاد بالاحقاف ، والعمالقة بالحجاز ، وولى اخوته على ما كان بايدهم ، فولى اخاه جرهما على الحجاز ، وعاد بن قحطان على الشحر ، وحضرموت بن قحطان على جبال الشحر ، وعثمان بن قحطان على عمان.

﴿اول من تكلم باللغة العربية﴾

وقيل ان اول من تكلم باللغة العربية هو يعرب بن قحطان ، كما يقول عنه حسان بن ثابت رضى الله عنه في ديوانه :

تعلمتم من منطق الشيخ يعرب اينما فصرتم معربين وذى نفر
وكنتم قديما ماكنكم غير عجمة كلام وكنتم كالبهاثم فى النفر

وسمى العرب عربا لنصاحته وبلاغة كلامهم ، وهم كان يعدون غيرهم من الفرس والترك وغيرهم عجماء ، اى الذين لا يقدرّون على النطق الصحيح فى كلامهم .

وتولى بعد يعرب ابنه يشجب ، ثم ابنه عبد شمس ، وهو سبأ الذى بنى سد مأرب المشهور ، وهو اقدم خزان للماء ، ورد ذكره فى التاريخ ، وكان بناؤه متينا ، احتمل صدمات الماء وتأثيرات الهواء وكافة عوامل التخرّب بضعة قرون

دولة معين

تشعبت القبائل والبطون من سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، فكان منه ملوك معين وسبأ وحير وكهلان ، وقد ظهرت ملكة معين في الألف الثاني قبل الاسلام ، اى بين سنتى ١٢٠٠ ق م و ٧٠٠ ق م ، وكانت على جانب من الثروة والقوة ، واشتهرت بالتجارة ، ولاسيما بالبخور والمر ، فبلغ عدد ملوك معين ٢٦ ، والظاهر ان اصل هذه الدولة قبيلة من عرب العراق ، الذين اسسوا دولة حمورابى في بابل ، فلما بادت دولتهم هنالك نزحوا الى اليمن واسسوا فيها الدولة المعينية .

دولة سبأ

ودولة سبأ تأسست في القرن الثامن قبل الميلاد بعد الدولة المعينية ، وبلغت من الابهة والعظمة ما لم يحصل لغيرها من الدول ، ومن ملوك سبأ بلقيس ، التى ذكرها القرآن في قصة الهدهد وسليمان ، فيقول على لسان الهدهد : « انى وجدت امرأة تملكهم ، واوتيت من كل شئ ، ولها عرش عظيم ، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ، (النمل ٢٣-٢٤) فارسل اليها سليمان بن داود رسالة يدعوها الى قبول دين الاسلام ، فأتت وأسلمت واكن لماطفى أهالى سبأ ارسل الله عليهم سيل العرم فانكسر سد مأرب ، واتلفت المياه ماحوله من المزارع والقرى ، وكان ذلك في سنة ١٢٠ ق م ، فهجروا اهلها الى البلاد الاخرى .

الخيريون والتبابعة

وكانت قبائل حمير وكهلان من بنى قحطان تتنازعان الرياسة ويتنافسان في الملك ، حتى تملك الخيريون ، واسسوا دولة عربية باليمن ، ثم جاء من بعدهم التبابعة ، وحكموا بضعة قرون ، وكان أول ملوكهم الحارث الرائي ، وآخرهم ذوجدن ، قدفتح الاحباش اليمن في آخر عهد التبابعة ، وكان عليها التابع يوسف ذونواس ، الذي اعتنق اليهودية ، واجبر نصارى نجران على اعتناقها ، فلما لم يقبلوا هذا الدين حفر لهم اخاديد وملاها بالنار ، ثم احرقهم جميعا ، كما ذكرهم القرآن في سورة البروج بقوله : « قتل اصحاب الاخدود ، النار ذات الوقود ، اذ هم عليها قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود » ، وكان ذلك في سنة ٥٣٤ م ، فلما هاجمه الاحباش هرب ومات في الطريق قبل أن يبلغ مأمنا ، فخلفه ذوجدن ، فقهره الاحباش ايضا ، وأقاموا باليمن ، وأراد قائداهم ابرهة بن الاشرم هدم الكعبة ، فقصدها في عام الفيل اعنى ٥٧٠ م ، فهلك جيشه كما ورد في سورة الفيل ، ثم خلفه ابنه يكسوم فاساء السيرة ، وزاد طغيانه وتعسفه ، فاستنجد سيف بن ذى يزن ، ابن احد ملوك التبابعة ، بكسرى ، فانجده بجيش ، استطاع ان يخرج الاحباش ويطردهم ، وتولى سيف بن ذى يزن حكم اليمن تحت سيادة كسرى ، واكن لم يطل حكم سيف بن ذى يزن ، فقد قتله حاشيته ، ولم يملك بعده احد ، فقد استقل اهل كل ناحية تحت حكم ملك منهم .

العرب وآدابهم

القبائل القحطانية

ولما اخذت بلاد اليمن فى الانحطاط اخذ اهلها بهاجرون الى ارجاء جزيرة العرب ، وقد اعتبر العرب تسع عشرة قبيلة من هؤلاء المهاجرين قبائل يمنية ، مع أنها كانت تقيم خارج اليمن ، وهذه القبائل هى : طى والاشعر وكلب وبعيلة وجذام والازد وعاملة وكندة ولخم ومذحج وهمدان ومارن وقضاة وغسان ومزينة وازدشموة والأوس والخزرج وخزاعة ، ولكل من هذه القبائل بطون وأفخاذ ، وقد اتفق العلماء على ان هذه القبائل كلها قحطانية . وانهم خرجوا من اليمن بعد انهدام سد مأرب على اثر سيل العرم .

دول كندة ولخم وغسان

وقد نشأت من بعضها دول مثل دولة كندة ولخم وغسان وكندة بطن من كهلان ، فهم قحطانيون . اصاحم من البحرين والمشقر . هاجروا الى حضرموت ، فاقاموا ببلدة اسمها كندة ، فكانوا هنالك مواليين للحميريين ، فاتفق ان حجر بن عمرو آكل المزارجد جد امرئ القيس الشاعر ، سيد كندة ، كان أخا من الأمام الحسان بن تبع ، ملك حمير ، فولاه قبائل معد كلها ، وشن نعمان بن المنذر ملك الحيرة الحرب على الحارث بن عمرو بن حجر ، حميد حجر بن عمرو آكل المزار ، ثم تمكن منه وقتله ، وبقي اولاد الحارث الاربعة ، يحكم كل منهم فى الجهة التى عينه لها ابره قبل موته ، فبث النعمان بينهم العداوة ، فنشب بينهم قتال . قتل بسببه منهم اثنان ، ولم يبق غير اثنتين ، وهما حجر بن الحارث ، تملك على بنى اسد ، ومعدى كرب بن

الحارث ، صاحب قيس وعيلان ، ثم ثار بنو اسد على حجر ، فقتلوه ،
 فاراد ابنه امرق القيس الشاعر ان يأخذ بثار ابيه ، فتجول بين
 القبائل ، فلما لم ينجده احد سار الى قيصر الروم يستنجده ، فمات
 هناك ، فانقرضت دولة كندة بوفاته .

دولة اللخمين

أما لحم ، فقد رحلوا الى العراق ، حيث أقاموا بها مملكة في
 الحيرة ، وكان أول ماوكها هو جذيمة الابرش . الذي ينسب اليه
 تأسيس الحيرة والانبار ، ويقال انه قتل الريان الغساني ملك الحضر ،
 وضرد ابنه الزباء الى الشام ، فاحقت بالروم ، وبلغ من همتها انها
 جمعت الرجال ببدلت الاموال ، وعادت الى دار ابيها ومملكته ،
 فازالت حداً ، ونمئلته ، وكان لجذيمة وزير ، اسمه القصير ، فاحتمل في
 قتل الرباء جددع انفه وضرب جسده . ورحل اليها زاعما ان عمرو
 بن عدى ابن اخت جذيمة الابرش صنع به ذلك ، وانه لجأ اليها
 داربا منه ، واستجار بها ، ولم يزل يتلطف لها بطريق التجارة وكسب
 الاسوال ، الى ان وثقت به ، وعلم خفايا قصرها ، ثم وضع رجالا
 من روم عمرو بن عدى في غرائر أى جواليق وعليهم سلاح ،
 وحماهم على الابل على أنها قافلة تجاريه ، حتى دخل بهم مدينتها ،
 فخلوا الغرائر ، واحاط رجاله بقصرها وقتلوا ، فسار بذلك المثل
 المشهور : « لامر ما جددع قصير انفه . » ثم صار الحكم بعد جذيمة
 الابرش الى عمرو بن عدى ، فتولى الحكم من سنة ٢٦٨ م الى
 ٢٨٨ م ، وهو اول من اتخذ مدينة الحيرة عاصمة للمملكة ، ثم تبعه

امرؤ القيس الاول (٢٨٨ م - ٣٢٨ م)، وعمره الثاني (٣٢٨ م - ٣٧٧ م)، واوس بن قلام العمليقي (٣٧٧ م - ٣٨٢ م)، وامرؤ القيس الثاني (٣٨٢ م - ٤٠٣ م)، ثم جاء بعده ابنه النعمان بن امرئ القيس (٤٠٣ م - ٤٣١ م)، وهو الذي بنى قصرى الخورتق والسدير، ويقال فى سبب بناء الخورتق ان يزدگرد بن بهرام كسرى فارس، الذى لم يعش له ولد، اراد ان يربى ابنه بهرام كور فى موضع جيد الهواء والماء، فدفعه يزدگرد الى النعمان بن امرئ القيس، وامره أن يشيد له بناء جديدا، فبنى هذا القصر، وسماه بـ «الخورتق»، وكان الذى بناه رجلا، يقال له سنمار، فاتفق بناءه، فجاء على اجل صورة وابهاها، فلما اظهر الناس اعجابهم بهذا القصر قال لهم: لو علمت انكم تو فوننى اجرى وتجزوننى بما انا امله، أقمت لكم بناء يدور مع الشمس حيثما دارت، فغضب النعمان وقال: إذن أنت تستطيع بناء ما هو افضل منه، ثم امر به، فطرح من قمة الخورتق، وقد سار بهذه الحادثة المثل المشهور على نكران الجهل وسوء الجزاء، «جزاءه جزاء سنمار»، وفى وصف هذين القصرين يقول الاسود بن يعفر:

ماذا أوئل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد إيراد
 اهل الخورتق والسدير وبارق والقصرذى الشرفات من سنداد
 ثم تعاقب بعد ذلك ملوك، مثل المنذر الاول (٤٣١ م - ٤٧٣ م)، والاسود (٤٧٣ م - ٤٩٣ م)، والمنذر الثاني (٤٩٣ م - ٥٠٠ م)، والنعمان الثاني ابن الاسود (٥٠٠ م - ٥٠٤ م)، وابو

يعفر بن علقمة (٥٠٤ م - ٥٠٧ م) ، وامري القيس الثالث (٥٠٧ م - ٥١٤ م) ، والمنذر الثالث بن ماء السماء (٥١٤ م - ٥٥٤ م) .

وفي ايام المنذر الثالث نازعه الحارث بن ابي شمر الغساني ، عامل الدولة الرومانية على بلاد الشام ، فكل منهما كان يدعى السلطة على القبائل العربية النازلة بها ، ولم يكد ينتهى ما بينهما من نزاع ، حتى نشبت الحرب بينهما من جديد حوالى سنة ٥٤١ م ، وفيها أسر المنذر ابنا للحارث ، ولكن انتهت الحرب سنة ٥٥٤ م بهزيمة المنذر الثالث وقتله في مؤقعة «مرج حليمة» .

وجاء بعده عمرو الثالث بن هند الذى حكم من سنة ٥٥٤ م الى ٥٧٠ م ، ولكن قتل فى مؤقعة عين اياغ فى واد ورام الانبار على طريق الفرات الى الشام فى معركة مع الغسانيين ، فجلس على عرش المملكة قابوس بن المنذر الثالث (٥٧٠ م - ٥٧٣ م) ، ثم بعده المنذر الرابع (٥٧٣ م - ٥٨٠ م) ، وسراب (٥٨١ م - ٥٨٢ م) ، والنعمان الثالث بن المنذر المعروف بابى قابوس ، فتولى الحكم من سنة (٥٨٢ م - ٦٠٢ م) ، وهو الذى مدحه النابغة الذبياني بعدة قصائد ، وقد قتله كسرى پرويز فى سنة ٦٠٢ م ، وأقام مكانه إلياس بن قبيصة (٦٠٢ م - ٦٠٧ م) ، الذى لم يكن من اهل بيت النعمان ، واستمرت الحيرة الى بعد ظهور الاسلام ، حتى فتحها خالد بن الوليد فى عهد ابي بكر رضى الله عنه .

العرب وآدابهم

دولة غسان

سارت قبائل من بنى قضاة بن مالك بن حمير الى الشام ، في الوقت الذي هاجر فيه عرب اليمن من لحم الى العراق ، وسكنت في شمال غرب الجزيرة العربية في اقليم يسمى الآن ، بـ «الشرق الاردن» ، وكان حكم الشام وقتئذ تحت سلطان الدولة الرومانية ، فاستعان بهم الرومان على صد هجمات العرب من جهة ، والدفاع ضد الفرس من جهة اخرى ، واقام الرومان عليهم ملكا منهم ، ثم لما هاجرت قبيلة ازد من بلاد اليمن على اثر انكسار سد مأرب ، ذهب بطن منها ، يعرف بازد غسان الى الشمال ، وتمكنوا من اقامة دولة لهم عرفت بدولة الغساسنة .

وقد اجمعت الروايات التاريخية على ان جفنة بن عمرو مزريقا بن عامر هو جد الغساسنة ، وكان من اعظم امراء هذه الاسرة الحارث بن جبلة (٥٢٨ م - ٥٧٠ م) ، الذي بسط سلطته على جميع القبائل العربية في بلاد الشام ، وقد وجد الروم منهم حليفا قويا يقف امام الفرس وامام الاعراب المتبرين ، وكان من اثر ذلك قيام المنازعات بين ملوك الحيرة وغسان ، وقد استمر القتال بين هاتين الدولتين العربيتين ، الى ان احرز الحارث بن جبلة انتصارا حاسما في سنة ٥٥٤ م في معركة مرج حليلة ، التي وقعت بينهما بالقرب من قنسرين ، وانتهت تقبل المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة ، وسافر الحارث على اثر ذلك الى القسطنطينية سنة ٥٦٣ م لمفاوضة القيصر على من يخلفه من اولاده على سورية ومايجب اتخاذ من التدابير لمقاومة ملك الحيرة .

ولما توفي الحارث بن جبلة سنة ٥٧٠ م ، خلفه ابنه المنذر بن الحارث ، ولم يكده يتسلم زمام الحكم ، حتى هب لمحاربة عرب الحيرة الذين كانوا قد اغاروا على سورية بعد وفاة ابيه ، فقاتلهم وانتصر على ملكهم قابوس بن المنذر صاحب الحيرة ، ثم وقع شئ من الجفاء بين غسان والروم ، انقطع على اثره وصول المدد ثلاث سنوات ، فانتهاز عرب الحيرة هذه الفرصة ، واغاروا على سورية ، فاضطر الروم الى استرضاء الامير الجفني ، ثم لم يلبث ان ارتاب فيه القيصر ، ونفاه الى صقلية ، ولكن المنذر لم يلبث طويلا في منفاه ، فقد سخط ابناء المنذر الاربعة ، وشقوا عصا الطاعة على دولة الروم ، فأوغلوا تحت قيادة اخيهم الاكبر النعمان في الصحراء ، واخذوا يشنون منها الغارات على اراضي الدولة ، ولكن النعمان اخذ اسيرا الى القسطنطينية سنة ٥٨٣ م .

ولما كثر التنازع بين القبائل العربية اقام الروم مكان المنذر واليا جديدا من الامراء الذين لهم هبة في قلوب جميع القبائل البدوية .

وحينما دخل الفرس بلاد الشام سنة ٦١٣ م فر بعض امراء ابني جفنة الى بلاد الروم ، والتجأ البعض الآخر الى داخل الصحراء ، وقد أشار القرآن الكريم الى هذه الواقعة في أول سورة الروم ، فيقول : الم ، غلبت الروم ، في أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ، « ولقد صدقت نبوة القرآن الكريم ، فقد

استطاع الروم أن يستردوا الشام من الفرس مرة ثانية في سنة ٦٢٩ م .

وكان آخر ملوك الغساسنة جبلة بن الايهم بن جبلة بن الحارث ، الذي شارك الروم في وقعة اليرموك سنة ١٣ هـ - ٦٣٦ م ، وقد اسلم في ايام الخليفة عمر بن الخطاب ، ولكنه لجأ الى ملك الروم عند ما قضى عليه عمر بن الخطاب بالقصاص منه بسبب اطمه اعرابيا مسلما وتنصر هناك ومات .

وكانت قبائل نجد القريبة من بلاد الحيرة تابعة لملك العرب بالحيرة ، كما كانت القبائل القريبة من بادية الشام تابعة للغسانيين الا ان هذه التبعية كانت اسمية ، لان العرب كانوا لا يطبقون ان يقيدوا حريتهم باتباع ملك دون ملك .

العدنانية

وقد ذكرنا أن العرب ينقسمون الى القحطانية والعدنانية وقد تكلمنا عن القحطانية وشعوبها وقبائلها ، وبقي علينا ان نتحدث عن العرب العدنانية فنقول :

تنسب العرب العدنانية الى عدنان من ولد اسماعيل عليه السلام ، واسماعيل هو ابن ابراهيم عليه السلام من زوجته «هاجر» ، وقصة مجئ اسماعيل وأمه الى الصحراء العربية مشهورة ومذكورة في الكتاب المقدس : التوراة والقرآن الكريم ، وملخصها أن «سارة»

زوجة ابراهيم كانت عقيما ، فأرادت أن تدخل السرور على قلب زوجها ، فأبدت له رغبتها في أن يتزوج بامرأة أخرى تلد له خلفا ، فتزوج هاجر التي ولدت له اسماعيل ، ولكن الغيرة استولت على سارة بعد ذلك ، وكانت ذات حظوة لدى زوجها ، فأخذ هاجر وابنها الى قلب الصحراء العربية وتركهما ودعا الله لهما بالحفظ والبركة : « ربنا إني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ، وارزقهم من الثمرات ، لعلمهم يشكرون . (ابراهيم ٣٧)

واستجاب الله له دعائه ، فنبع لهما الماء من قلب الصحراء حيث توجد بئر زمزم الآن في مكة المكرمة بالقرب من بيت الله الحرام ، وجاءت قبيلة جرهم اليمنية ، وكانت من نسل قحطان ، فأقامت بجوار هذا الماء ، وشب إسماعيل بينهم ، وتعلم منهم لغتهم العربية ، وتزوج واحدة من بناتهم ، وكان ابراهيم عليه السلام يتردد بين الفينة والاخرى ليزور ابنه وزوجته ويطمئن عليهم ، فأمره الله ببناء الكعبة المشرفة والبيت الحرام ، فبناها بمساعدة ابنه اسماعيل : « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل » ، (بقرة ١٢٧) .

وصار هذا المكان مكانا يقصده العرب للحج كل عام فازداد فيه العمران ونشأت مدينة مكة المكرمة .

وأنجب اسماعيل اثني عشر ولدا ، وكان عدنان من أحفاده وتفرعت من عدنان بطون كثيرة ، أهمها معد ، ومن معد بنونزار

وبنو قنص ، والاول اكثر عددا واعز نفرا ، وهى عدة فروع ، منها ربيعة ، ومضر ، وانمار ، وايد ، ومن هاتين القبيلتين الاوليين تشعبت بطون كثيرة ، فمن ربيعة بنو اسد وعبد القيس ووائل ، وتفرع من وائل فرعان ، هم بكر وتغلب .

وقد تشعبت قبائل مضر شعبتين ، اولهما قيس عيلان بن مضر ، ومنهم هوازن وسليم وغطفان ، وثانيهما الياس بن مضر ، ومن غطفان عبس وذبيان ، ومن اولاد الياس بطون تميم بن مر ، ومن اشهرها مارن ومالك وسعد ودارم ويبروع وكعب ومجاشع وزرارة . وكانت تميم قديما فى تهامة ، ثم نزح فى اواسط القرن الثانى ق ل الهجرة نحو العراق ، واستقرت فى باديته ومايلها جنوبا . ومن بطون مضر مدركة بن الياس بن مضر ، وتشعبوا فى هذيل وقريش واسد وكنانة والدئل وغيرهم .

استقلال عرب الحجاز

وكان عرب الحجاز ونجد قبل الاسلام تحت سيطرة دولة حمير اليمنية ، وكانوا يؤدون لها الاتاوة والخراج ، وكان ملوك اليمن يستخدمونهم فى نقل التجارة ، او رعى الماشية ، او يستأجرونهم فى الحروب ، ثم هجم الاحباش على اليمن بمساعدة قيصر الروم سنة ٣٤٥ م ، وتغلبوا على الحميريين ، فقلت هيبتهم فى قلوب العدنانيين الذين بدأوا يفكرون فى التخلص من سيطرتهم .

واول من كسر هذا القيد من قبائل العرب قبيلة ربيعة على يد فارسها كليب بن ربيعة الشجاع المشهور ، وكان معاصرا لزهير بن

جناب الكلبى الذى ينتمى الى قضاة ، والذى تولى الامارة على بكر
وتغلب لصاحب اليمن ، وكان يخرج فى حاشيته لجمع الاتاوة
والخراج ، فأصابهم فى اثناء امارته ضيق ، وامحلت ارضهم ، فتأخروا
عن الدفع ، فجاءهم زهير والح فى مطالبتهم ، فشكوا عجزهم وابانوا
عذرهم ، فلم يصغ الى شكواهم ، ومنعهم النجعة والمرعى ، او يؤدون
ما عليهم من الاتاوة ، فصبروا حتى كادت مواشيهم تهلك ، وكانت
هيبة الدولة قد ذهبت من نفوسهم ، فلما اصابهم ذلك الظلم شقوا
عصا الطاعة ونقموا على زهير ورجاله ، فدسوا رجلا منهم ، اسمه
زيابة بن تيم الله ، وكان فاتكا ، واوعزوا اليه ان يقتل زهير
غدرا ، ولم يقدرُوا على مناورته جهارا ، لئلا يستنجد جنده ، فاتاه
زيابة وهو نائم ، وطعنه ورجع الى قومه ، واخبرهم انه قتله ،
والحقيقة ان السيف مر بجانب البطن ، ولم يصب من زهير مقتلا .
وعلم زهير انه سالم ، فلم يتحرك لئلا يجهز عليه زيابة ، فلما انصرف
زيابة اوعز زهير لمن معه ان يظهروا موته ، ويستأذنوا بكرا
وتغلب فى دفنه ، فلما اذنوا دفنوا ثيابا ملفوفة ، وفروا به مجدين
الى قومهم ، فجمع زهير الجموع ، وفى ذلك يقول ابن زيابة :

خاننى السيف اذ طعنت زهيرا وهو سيف مضلل مشئوم

وجمع زهير من قدر عليه من اهل اليمن ، وغزا بكرا وتغلب ،
وقاتلهم قتالا شديدا ، فزهزهم وأسر كليبا ومهلها ابنى ربيعة ، وأسر
جماعة من وجوههم وفرسانهم ، فادوا اموالا كثيرة ، وخرجت قبائل
ربيعة على زهير ، وانقذوا كليبا ومهلها من الأسر ، ودالت الايام ،

وعاد زهير الى سطوته، فوضع الاتاوة والخراج على بنى معد جميعا،
اى على ربيعة، ومضر، وقضاة، ونزار وايااد.

وفى سنة ٤٩٢ م توفى ربيعة فخلفه ابنه كليب، وفى نفسه
على اليمن ضغائن، لما قاساه فى الأسر، فجمع قبائل ربيعة ومضر
وقضاة ونزار وايااد تحت لوائه، وحاربوا اليمن فى معركة عرفت
بيوم خزاز، فتغلبوا على اليمنيين وتخلصوا من سيطرتهم ولم يدفعوا
اليهم اتاوة اوخراجا بعد ذلك، ولما كان الكليب هو الذى انقذهم
نصبوه ملكا عليهم واطاعوه، وكان ذلك آخر عهدهم بسلطة اليمن

حرب البسوس

ولما استقل عرب الحجاز ونجد من سيطرة اليمن تنازعوا
فيما بينهم وتحاربوا، وجرت حروب دامت سنين عديدة طويلة،
مثل حرب البسوس التى نشبت بين بكر وتغلب ابنى وائل بن
ربيعة بسبب قتل كليب سيد القبيلتين المذكورتين، وقصتها ان
رجلا من بنى جرم يقال له سعد بن شمس الجرمى نزل ضيفا على
البسوس بنت منقذ التميمية، خالة جساس بن مرة اخى زوجة
كليب، وكان للجرمى ناقة اسمها «سراب»، ترعى مع نوق جساس
فى مرعى لكليب، ولما خرج الكليب يتفقد الابل رأى ابله محتاطة
بابل جساس، ووجد سراب، فأنكرها ورماها بسهم فجرحها،
واقت الناقة مجروحة الى صاحبها، فصرخ بالذل، فسمعت البسوس
صراخ حارها، فخرجت اليه، فلما رأت ما بناقته وضعت يدها على
رأسها وصرخت وا ذلاه! وكان جساس بن مرة قريبا منها،
فسمع صراخها وطيب خاطرها، وقال لها انى ساقتل جملا اعظم

من هذه الناقة (يريد كليبا) ، وترصد لكليب حتى رآه يوما ما يخرج
بلا سلاح ، فتبعه حتى بعد عن الحى ، فرماه بسهم فقتله وهرب ،
وكان ذلك فى سنة ٤٩٦ م .

وقد نهض مهامل بن ربيعة أخو كليب للاخذ بثأر أخيه ،
الذى كان يعزه ويحبه ، فشن حربا شعواء على بنى مرة ، كما فاضت
شاعريته بكثير من القصائد فى رثاء كليب ، وفى إحداها يقول

اهاج قدام عيني الاذكار	هدوا فالدموع لها انحدار
وصار الليل مشتملا علينا	كان الليل ليس له نهار
وبت اراقب الجوزاء حتى	تقارب من اوائلها انحدار
اصرف مقتلتي فى اثر قوم	تباينت البلاد بهم فغاروا
وابكى والنجوم مطلعات	كان لم تحوها عنى البحار
على من لونعيت وكان حيا	لقاد الخيل يحجبها الغبار
دعوتك يا كليب فلم تجبني	وكيف يجيبني البلد القفار
اجبني يا كليب خلاك ذم	ضنينات النفوس لها مزار
اجبني يا كليب خلاك ذم	لقد فجعت بفارسها نزار
سقاك الغيث انك كنت غيثا	ويسرا حين يلمس اليسار
ابت عيناى بعدك ان تنكفا	كان غضا القتاد لها شفار
وانك كمنت تعلم عن رجال	وتعفو عنهم ولك اقتدار
وتمنع ان يمسه لسان	مخافة من يجير ولا يجار
وكنت اعد قريبي منك ربحا	اذا ما عدت الريح التجار

فلا تبعد فكل سوف يلقى
يعيش المرء عند بنى ابيه
ارى طول الحياة وقد تولى
كانى اكن نعى الناعى كليباً
فدرت وقد عشى بصرى عليه
سألت الحى اين دفتموه
فسرت اليه من بلدى حثيثاً
وحادت ناقتى عن ظل قبر
لدى اوطان اروع لم يشنه
اتغدو يا كليب معى اذا ما
اتغدو يا كليب معى اذا ما
اقول لتغلب والعز فيها
تتابع اخوتى ومضوا لامر
خذا العهد الاكيد على عمرى
وهجرى الغايات وشرب كاس
ولست بخالع درعى وسيفى
والا ان تبديد سراة بكر
وقال فيه ايضا :

كليب لاحير فى الدنيا ومن فيها
كليب اى فتى عز ومكرمة
نعى النعاة كليباً الى فقلت لهم
ليت السماء على من تحتها وقعت
ان انت خليتها فى من يخليها
تحت السناسف اذيعاوك سافىها
مادت بما الارض امادت رواسيها
وحالت الارض فانجابت بمن فيها

واستمر القتال بين بكر وتغلب حتى قتل جساس بن مرة، فعند ذلك كف المهازل عن القتال، ورحل الى اليمن ايطفي جمره الحرب، بعد ان دامت اربعين سنة من ٤٩٤ م الى ٥٣٤ م وتوفي هناك في سنة ٥٣١ م.

حرب داحس وغبراء

ومن الحروب المشهورة الدامية حرب داحس وغبراء، التي جرت بين بنى عبس وبنى فزارة، عند ما اختلف سيدهما قيس بن زهير وحذيفة بن بدر على سباق الخيل، وكان داحس اسم فرس قيس وغبراء اسم فرس حذيفة، وكان بنو عبس وبنو فزارة يقيمون في وادي الرمة في نجد، فقامت بينهم حرب طويلة دامت سنين عديدة ثم اصطلمحت عبس وفزارة، وانفرد قيس بن زهير عن بنى عبس، وساح في الارض حتى اتى الى عمان، فتنصر بها ومات في سنة ٦٣٢ م.

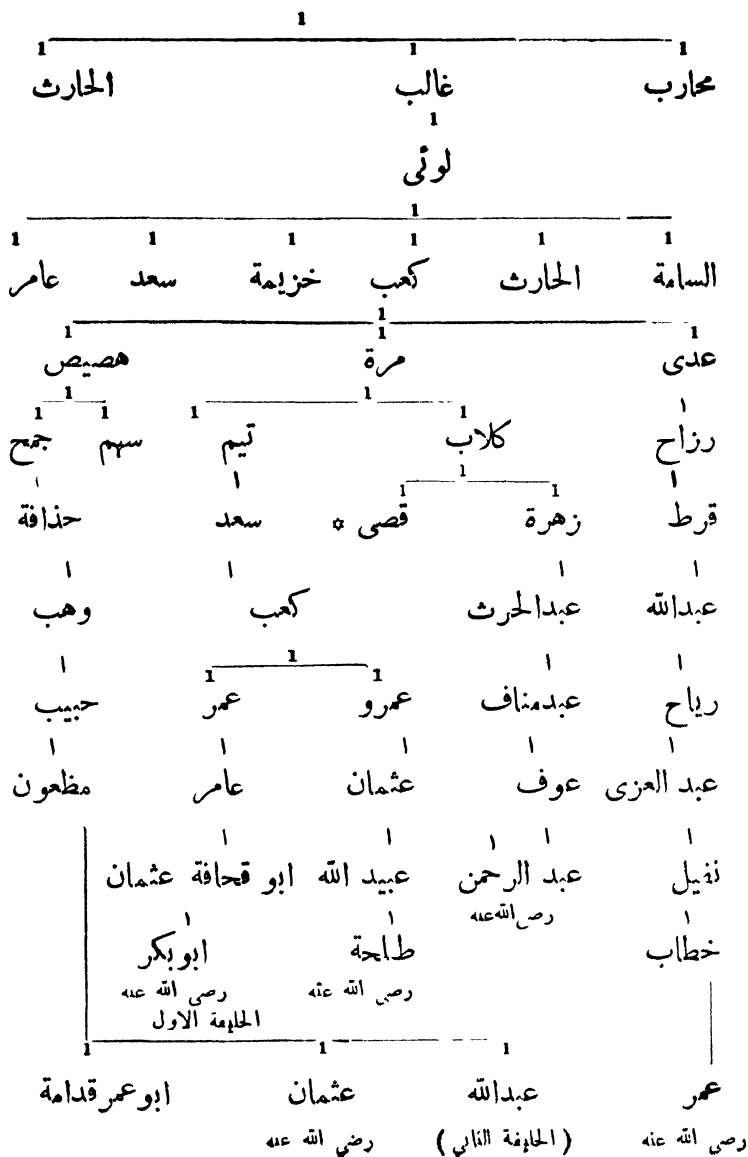
ولاية البيت

لبثت ولاية البيت في جرهم حتى اذا كبر سلطانهم وعظمت شوكتهم عشوا في الارض فسادا واستحلوا اموال السكبة واضطهدوا من دخل مكة من غير اهلها -

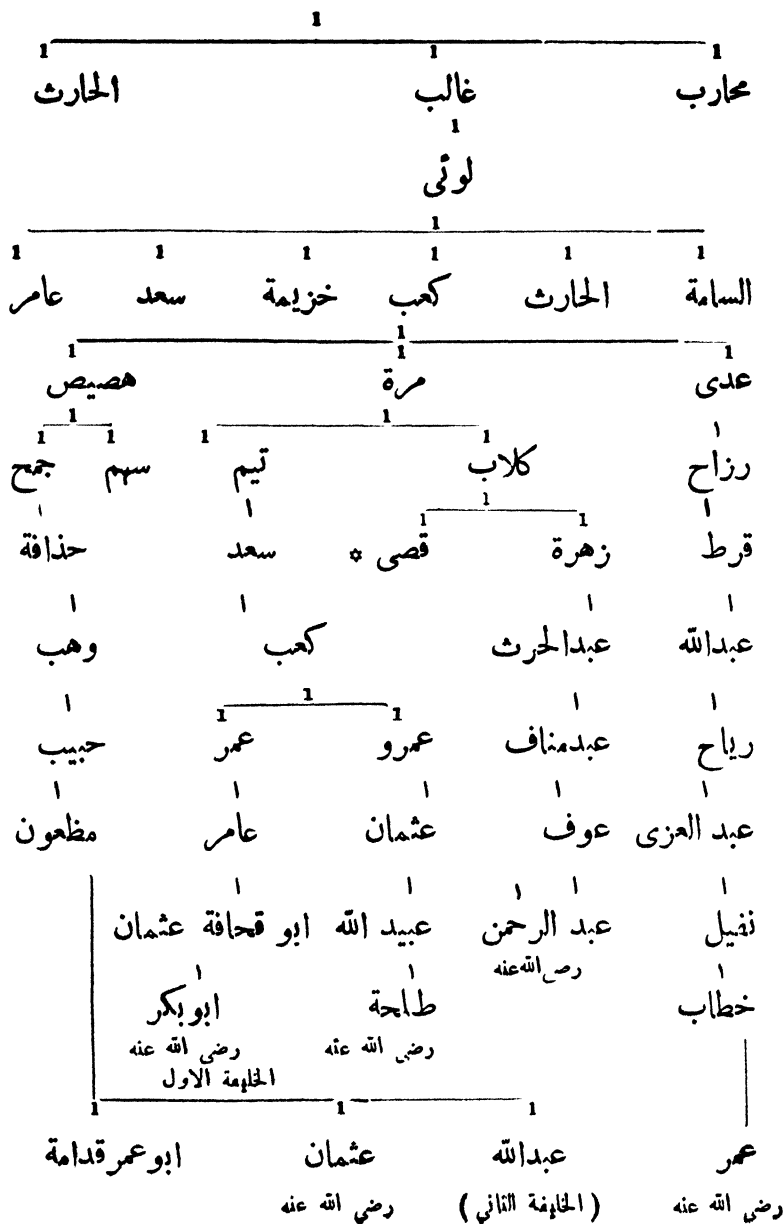
ولما قدمت خزاعة من اليمن بعد تفرق سبأ على اثر حادثة سيل العرم استعان بنو حارثة بن عمرو الملقب بخزاعة بكنانة، فغلبهم بنو حارثة وكان رئيسهم يومئذ عمرو بن لحي بن قمعة بن الياس بن مضر زعيم بنى خزاعة، الذي افند ديانة ابراهيم

العرب وآدابهم
فهر (وهو قريش)

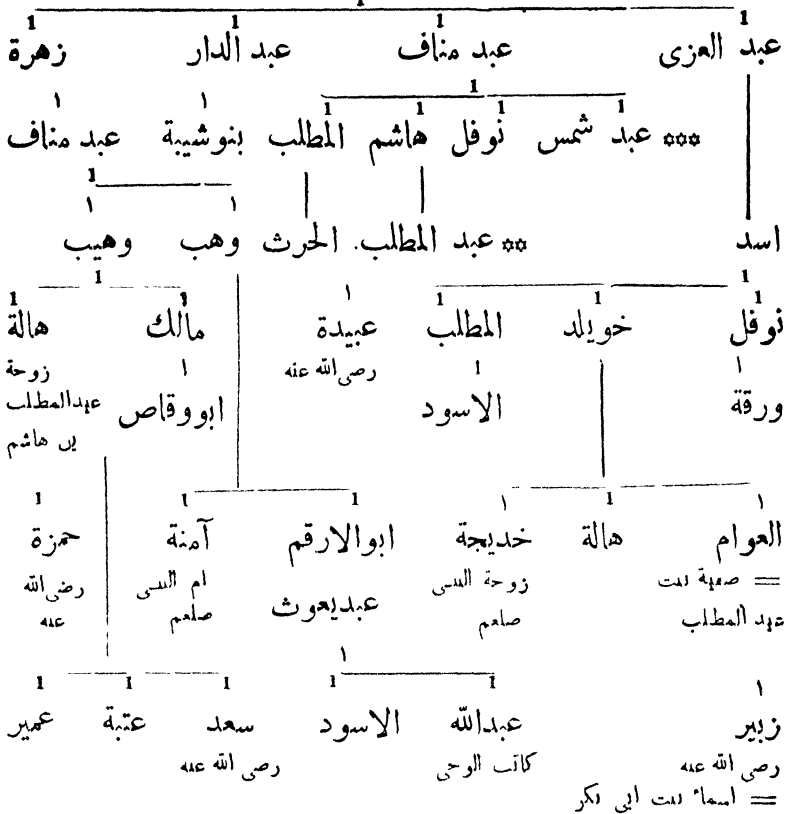
نسب قريش



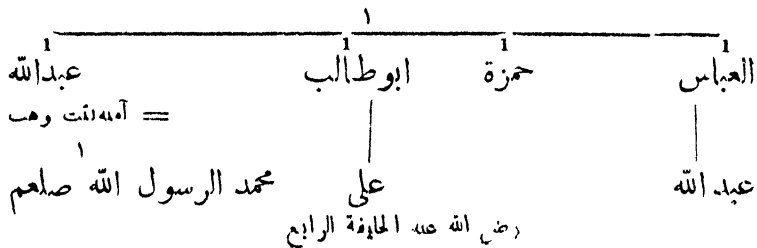
نسب قریش فہر (وہو قریش)



قصي

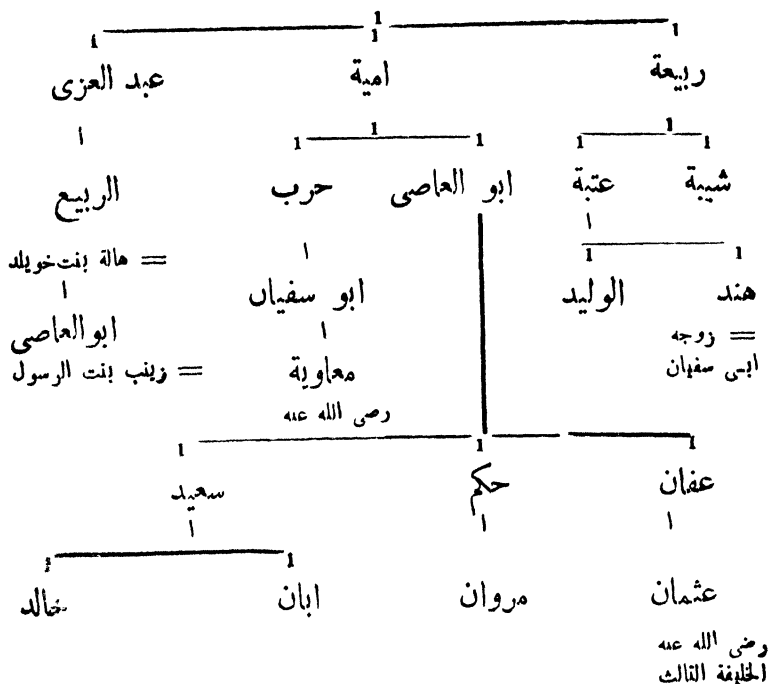


عبد المطلب



العرب وآدابهم

*** عبد شمس



صفات العرب وديانتهم

العرب جميعهم ينقسمون الى اربعة اقسام :

اولا : العرب العاربة او البائدة ، ومنهم عاد وثمود ونسبهم
وجديس والعمالقة وغيرهم وانقرضوا جميعا .

ثانيا : العرب المستعربة ، وهم الذين انحدروا من قبائل
منهم ملوك معين وسبأ وحير وتبابعة وغيرهم .

العرب وآدابهم

ثالثا : العرب التابعة للعرب المستعربة ، وهم الذين تشعبوا من ذرية عدنان بن ادد بن زند بن نابت بن اسمعيل عليه السلام .
رابعا : العرب المستعجمة ، وهم عرب هذا العصر الذين فسدت لغتهم على تمادى الايام باختلاطهم مع الاجانب .

ومن صفات العرب الشهامة والنجدة وحفظ العهود والافتخار بشدة الباس وعلو الهمة والسخاء والكرم والضيافة للقريب والغريب والمحافظة على شرف ناموسهم وعرضهم ، فكان عندهم الموت اسهل من العار والفضيحة ، حتى ادى بهم ذلك الى واد البنات قبيل بلوغهن تخلصا من هذا العار ، ولكنهم كانوا يختلفون فيما بينهم للسيطرة على ماء او كلاء فجرت بينهم حروب دامت لسنين كثيرة كما بينا ذلك من قبل .

وكانت هناك ثلاثة عوامل ادت الى اجتماع كلمة العرب .

اولا : انهم كانوا من جنس واحد وهو الجنس السامي .

ثانيا : انهم كانوا يتكلمون لغة واحدة وهى العربية وان اختلفت لهجاتهم .

ثالثا : انهم كانوا يدينون بدين واحد وهو الدين الوثني

اللغة العربية

كان العرب يتكلمون اللغة العربية فى جميع بلاد جزيرة العرب ، ولكن اللهجات كانت تختلف من قبيلة ، الى قبيلة وكان

الاختلاف على معظمه بين لغات اليمن ، ولغات الحجاز ، ونجد ، واحسن مثال للغات اليمن ما خلفه الحيريون من الآثار بالحرف المسند ، واحسن مثال للغة الحجاز ونجد لغة القرآن وشعر الجاهلية ، والفرق بين اللغتين كبير ، والعرب يسمون لغة قدماء اليمنيين بالمسند ، ولغة اهل الحجاز ونجد بالمبين ، وهو الباقي الى الآن .

مميزات اللغة العربية وخصائصها

للغة العربية خصائص تميزها عن سواها وهذه هي مميزاتها .

(١) الاعراب والتعريف ، ونعنى بالاعراب تغير اواخر الكلم بتغيير العوامل عليها بالرفع والنصب والجرو السكون ، والمراد بالتعريف اشتقاق كلمة من أصل لها للتعبير عن معنى خاص ، فالافعال من الثلاثي المجرد والمزيد او الرباعي المجرد والمزيد لها اوزان خاصة ، واسم الفاعل واسم المفعول واسما المرة والهيئة واسما المكان والزمان والصفة المشبهة واسم الآلة وكل ذلك له وزنه الخاص ، ومشتق من أصل واحد هو المصدر .

(٢) دقة التعبير ، وتمتاز اللغة العربية بدقة التعبير بالفاظها وتراكيبها واشتقاقاتها ، واما الالفاظ ففيها اكل معنى لفظ خاص ، حتى اشباه المعاني او فروعها او جزئياتها ، وتوجد الالفاظ لتأدية فروع المعاني او جزئياتها ، فلكل ساعة من ساعات النهار اسم خاص به ، فالساعة الاولى الذرور ، ثم البزوغ ، ثم الضحى ، ثم الغزاة ، ثم الهاجرة ، ثم الزوال ، ثم العصر ، ثم الاصيل ، ثم الصبوب ، ثم

الحدور، ثم الغروب، ويقال فيها ايضا البكور، ثم الشروق، فالاشراق، فالراد، فالضحى، فالمتوع، فالهاجرة، فالاصيل، فالعصر، فالطفل، فالحدور، فالغروب، وكذلك لكل ليلة من ليالى القمر اسم خاص بها .

وللمعنى الواحد عدة الفاظ، فللشعر مثلاً اسماء عديدة حسب منبته، كالغروة لشعر معظم الراس، والناصية لشعر مقدم الرأس، والذؤابة لشعر موخر الراس، والفرع لشعر راس المرأة، والغديرة لشعر ذوائبها، والدبب لشعروجهها، الى غير ذلك وهو كثير .

وقس عليه اسماء المعائب، فمن معائب العين الخوص، والخوص، والشتى، والقمش، والكمش، والغطش، والجهر، ولكل منها معنى خاص، مما لا مثيل له فى ارقى لغات البشر قديماً ولا حديثاً .

وكذلك فى تفرع معانى الافعال وضروب الاصوات للحيوان والانسان والمترادفات فى الاوصاف الفاظ كثيرة لا تحصى، ولعل اللغة العربية فهى اغنى اللغات فى العالم فى تقدير الالفاظ الكثيرة للتعبير عن المعانى المجردة والمركبة التى لا يعبر عنها فى اللغات الاخرى الا بعدة الفاظ كقولنا تقاتلوا وتناصروا .

(٣) الاعجاز والايجاز، ان العرب هم اقوى الامم على تعبير المعانى الكثيرة بالفاظ قليلة وعبارات موجزة، فنجد امثلة كثيرة

لهذه في القرآن ، والحديث ، والفقه ، والادب ، والامثال ، تستعمل فيها من انواع اساليب المعاني والبيان والبديع مما لانجد مثلها في لغة اخرى من لغات العالم .

(٤) المترادفات والاضداد ، هناك عدة الفاظ للمعنى الواحد باللغة العربية ، ففيها للسنة ٢٤ اسما ، وللنور ٢١ اسما ، وللظلام ٥٢ اسما ، وللشمس ٢٩ اسما ، وللسحاب ٥٠ اسما ، وللمطر ٦٤ اسما ، وللبر ٨٨ اسما ، وللماء ١٧٠ اسما ، وللبن ١٣ اسما ، وللعسل نحو ذلك ، وللخمر مئة اسم ، وللأسد ٣٥٠ اسما ، وللحية مائة اسم ، ومثل ذلك للجمل ، واما الناقة فاسماؤها ٢٥٥ اسما ، وقس على ذلك اسما الثور والفرس والحمار وغيرها من الحيوانات ، وكذلك هناك مترادفات للصفات ، مثل ٩١ لفظا للطويل ، و ١٦٠ لفظا للقصير .

ومن خصائص اللغة العربية اسما الاضداد ، فان فيها مئات من الالفاظ ، يدل كل منها على معنيين متضادين ، مثل قول العرب قعد للقيام والجلوس ، ونضح للعطش والرى ، وذاب للسيولة والجمود ، وافسد للاسراع والابطاء ، واقوى للافتقار والاستغناء .

(٥) المعاني الكثيرة للفظ الواحد ، ومن خصائصها ايضا دلالة اللفظ الواحد على معان كثيرة ، فمن ذلك لفظ الخال ، فانه يدل على ٢٧ معنى ، وللفظ العين ٣٥ معنى ، وللفظ العجوز ٢٠ معنى .

(٦) السجع ، ان كثرة المترادفات في اللغة العربية وتعدد المعانى للفظ الواحد جعلتها واسعة التعبير ، وسهلت على اصحابها التسجيع ، ومن نتائج اقتدار اصحابها على كتابة المعنى الواحد بعدة تراكيب بين عاطل ومهمل ومنقط ومشترك ، وقد نعلم ان واصل بن عطاء خطب خطبة طويلة لم يرد فيها حرف الراء ، وكان هو الاشع ، وكان اذا قال شعرا لم يورد فيه حرف الراء على الاطلاق ، وكذلك الشيخ الشاعر فيضى كتب تفسير القرآن باسم « سواطع الالهام » بالفاظ ليس فيها حرف منقط .

(٧) حكاية الاصوات ، ومن خصائص اللغة العربية حكاية الاصوات ، يمكن للخطيب او المتحدث ان يستخدم الفاظا يكون لها تاثير خاص في نفوس السامعين ، كما فعل ابو زبيد الطائي عند الخليفة عثمان بن عفان ، فانه وصف خروج الاسد على المسلمين في واد بالفاظ اربع قلوب المسلمين السامعين ، فصاح به عثمان « اسكت قطع الله لسانك فقد اربعبت قلوب المسلمين » .

(٢)

الشعر والشعراء في العهد الجاهلي

❦ الشعر وتأثيره في نفوس العرب ❦

كان العرب في العهد الجاهلي يتفاخرون على غيرهم بفصاحة لغتهم وبلاغتها نظما ونثرا ، ومن أهم آدابهم في هذا العهد الشعر والخطابة والامثال والاخبار ، وكان الشعر داخلا في كل عمل من أعمالهم ، مرافقا لكل حركة من حركاتهم ، حتى يخيل اليها انهم كانوا لا ينطقون الا بالشعر ، وكان كل واحد منهم يقول الشعر ولو قليلا ، وكان للشعر تأثير خاص في نفوس العرب ، فكانوا يتخذون الشعراء وسيلة للتفاخر ، والتغنى بالفضائل ، وفي إثارة الحمية والشجاعة في نفوس المحاربين اثناء الحرب ، فكان لكل قبيلة شاعر على الأقل ، يمجدها ويفتخر بها ، ويعبر عن غرضها ، وينطق باسانها ، وربما فضلوا نبوغ الشاعر فيهم على نبوغ الفارس ، واذا نبغ فيهم شاعر من قبيلة ، اتت اليها القبائل الأخرى ، وهنأتها به ، وصنعت الاطعمة ، ولعبت النساء بالمزامير ، وتباشروا فيما بينهم ، لاعتقادهم ان الشاعر حامى لاعراضهم ، ودافع عن احسابهم ، فكلما صدر حادث من الحوادث ، قام الشاعر فيهم ، يحرضهم على قتال أعدائهم ، وهجا هؤلاء الأعداء بأقذع المعاني ، فكانوا ينقلون هذه الاشعار في مجامعهم وانديتهم ، ويتفاخرون

على غيرهم ، فنكثر الشعراء في جميع جهات نجد وحجاز وتهامة واليمن وغيرها ، منهم اصحاب المعلقات ، مثل امرئ القيس وطرفة بن العبد وزهير بن ابي سلمى ولبيد بن ربيعة وعمرو بن كلثوم وحارث بن حلزة اليشكري والتابعي الذبياني والاعشى وعنترة العيسى وعبيد بن الابرص ، ومنهم الشعراء الامراء ، مثل الافوه الاودي والمهمل بن ربيعة وعبد يغوث وزهير بن جناب الكلبي وعامر بن الطفيل العامري وابي قيس بن الاسلت والحسين بن الحمام وقيس بن عاصم ، ومنهم الشعراء الفرسان ، مثل ابي محجن الثقفي والاغلب العجلي وحاتم الطائي وزيد الخيل وسلامة بن جندل التميمي وعلقمة الفحل وعمرو بن معدى كرب وقيس بن الخطيم وغيرهم ، ومنهم الشعراء الحكماء ، مثل امية بن ابي الصلت وورقة بن نوفل وزيد بن عمرو وقس بن ساعدة ، ومنهم الشعراء العشاق ، مثل المرقش الاكبر وعبد الله بن العجلان وعروة بن حزام العذري ومالك بن الصمصامة ومسافر بن ابي عمرو وغيرهم ، ومنهم الشعراء الصعاليك ، اشتهروا بالعدو والغارة على القبائل للنهب ، مثل الشنفرى وتابط شرا والسليك بن السليكة وعروة بن الورد وغيرهم ، ومنهم الشعراء اليهود ، مثل السمؤال بن عاديا ، ومنهم الشواعر ، مثل الحنساء وخرنق بنت بدر بن هفان وليلى العنيفة وجليمة بنت مرة ، واخبارهم مذكورة في كتاب الاغانى والشعر والشعراء وغيرها من الكتب العديدة ، ولا يمكن لنا ان نذكر احوال جميعهم في هذا الكتاب ، فنكتفي

بذكر احوال اشهرهم من اصحاب المعلقات، وبعض الشواعر،
واليك تراجم اصحاب المعلقات، ومن يلحق بهم من الشعراء
المشهورين .

هل علقت المعلقات بالكعبة ؟

اختلف العلماء في شان هذه المعلقات، هل هي علقت
بالكعبة ام لا ، فقال بعضهم انها علقت بالكعبة ، لاستحسانهم
وتعظيمهم اياها ، وانكر بعضهم تعليقها بالكعبة ، واستغربها ،
و قال انها لم تعلق بالكعبة ، وانما اشتهرت باسم المعلقات ، بعد
ما عرفها رواة الشعر بهذا الاسم ، وانما استأنف انكار التعليق
بعض المستشرقين من الافرنج ، ووافقهم بعض الكتاب الجدد ،
مثل دكتور طه حسين ، واشهر اصحاب المعلقات هو امرؤ
القيس واليك ترجمته .

١ — امرؤ القيس (توفى نحو سنة ٥٦٠ م)

هو اشهر شعراء الجاهلية ، وادفعهم منزلة ، يتصل نسبه
بملوك كندة في حضرموت ، وكان حجر بن عمرو آكل المرار ،
جد جد امرئ القيس ، ملكا على نجد ، حتى توفى باواسط القرن
الخامس للميلاد ، خلفه ابنه عمرو بن حجر ، ثم بعده ابنه الحارث
بن عمرو ، فكان له شأن كبير ، وكان له اربعة اولاد ، اقام كلا منهم
حاكما على بعض القبائل ، ومنهم حجر بن الحارث ، والدامرئ
القيس ، الذي تولى على بني اسد وخطافان ، ثم انقلب الامر ،

فقتل جده، ثم أبوه، وكان امرؤ القيس عند مقتل أبيه غائباً، ولم يكن يستطيع ان يأخذ بثأر أبيه، فنجول فترة من الزمن، متكرراً في قبائل اليمن ونجد والحجاز، يستجيرهم، فلم يجره احد، حتى اتى السموال بن غريض بن عاديا، صاحب حصن الابلق، فاستجاره، فاجاره، فترك ادرعه وامتعته عنده، ووصل قيصر الروم بتوسط الحارث بن ابي شمر الغساني، يستنجد به على اعدائه من اهل الحيرة، فاقام لديه اياماً، حتى وشى به احد من اعدائه، فالبسه قيصر حلة مسمومة، فمات من اثر هذا السم.

وكان امرؤ القيس قوى الشاعرية، واسع الخيال، قد قضى معظم حياته فى الاسفار، ومخالطة شذاذ العرب، فاذا صادف غديراً، او روضة، او موضع صيد، اقام وذبح لمن معه فى كل يوم، وكان يخرج الى الصيد، ويصيد من الوحوش، ثم يعود الى موضعه، وياكل لحومها مع اصدقائه وزملائه، ويشرب الخمر، ويسقيهم، وكانت قيامه تغنى له ولاصحابه، فلا يزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير، فينتقل الى غيره، فلذلك نجد فى اشعاره دقة وصف الفرس والناقة، وقد اجاد فى سائر ضروب الوصف، وله ابيات كثيرة، جرت مجرى الامثال، على السمتة الناس، وهو اول من لطف المعانى، وما بلغ فى نهاية الجودة والكمال قوله:

وما ذرفت عيناك الا لتضربى بسهميك فى اعشار قلب مقتل

ومعلقته اشهر المعلقات ، التى تبدأ بهذا البيت :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحول
يقال انه كان يحب ابنة عمه ، عنيزة بنت شرحبيل ، التى
حظر عليه لقاءها ، فكان يسترق الفرص لملاقاتها ، فاغتنم فرصة
ظعن الحى ، وكانوا اذا ظعنوا ، مشى الرجال اولاً ثم النساء ،
فتخلف امرؤ القيس عن الرجال ، واختفى فى موضع ، جانب
الغدير ، الذى يسمى دارة جملجل ، فجاءت ابنة عمه عنيزة مع
صواحبها ، ونزلن فى الماء ، بعدما اخرجن ثيابهن ، ووضعنهما على
حجر ، فاتى امرؤ القيس من مخبأه ، واخذ هذه الثياب ، وحلف
انه لا يعطيها لاحداهن ، الا ان تخرج كل واحدة منهن اليه
عارية ، فخرجن ، ولم تخرج عنيزة الا بعد اصرار شديد منه ، فدفع
اليها ثيابها ، فلبستها ، واخذت النساء يغنفنه ، بانه اخرهن عن
الحى ، وجوعهن ، فقال لهم : ساعقر لكم راحلتى ، تاكن منها
وتشبعن ، فعقر لهن مطيته ، كما يشير اليها فى معلقته ، ويقول :

ويوم عقرت للعذارى مطيتى فيا عجباً من كورها المتحمل

فظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهذاب الدمقس المقتل

فلما ارتحلن ، احتملن امتعته على رواحلهن ، وبقي هو
لا مركب له ، فقال لعنيزة ، لا بد لك من ان تحملينى ، وساعده
صواحبها على طلبه ، فحملته على مقدم هودجها ، فجعل يدخل
رأسه من الهودج يقبلها ويحادثها ، فذعرت منه ، وقالت له :

تقول وقد مال التبيط بنامعها عقرت بعيرى يا امرء القيس فانزل

ووصف في معلقته الناقة ، وسيرها في الصحراء باحسن وصف ، واجاد فيها ، وله اشعار وايات ، ماعدا معلقته ، جمعت في ديوان ، طبع مرات عديدة .

٢ — طرفة بن العبد (توفى سنة ٥٥٠ م)

هو ابو عمرو طرفة بن العبد ، من بكر وائل من ربيعة ، ابن اخت جرير بن عبدالمسيح ، المعروف بالمتلمس ، وقد نبغ في الشعر من حداثة سنه ، حتى صار يعد من الطبقة الاولى ، وكان في صباه عاكفا على اللهو واللعب ، يعاقر الخمر ، وينفق ماله عليها ، مات ابوه ، وهو صغير ، فابى اعمامه ان يقسموا ماله ، وظلموا حق الامه وردة ، فهجأهم بقصيدة ، اولها :

مانظرون بحق وردة فيكم صغرابنون ورهط وردة غيب

ومعلقته مشهورة ، يشبه فيها حدود حبيته بالسفن السابحة في الماء ، ويصف ناقتة وصفا جميلا ، يصف كل عضو من اعضائها ، حتى ذيلها وقلبها ، بدأ معلقته بذكر آثار حبيته ، ويقول :

لخولة اطلال ببرقة نهدم تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

وكان طرفة معجبا بنفسه ، لا يخضع نفسه لامير او ملك ، مهما كان ، فغضب عليه عمرو بن هند صاحب الحيرة ، فكتب له ولخاله المتلمس ، كتابين الى المكعبر ، الذى كان عاملا له على البحرين وعمان ، فخرجا من عنده ، وسارا حتى اذا اتيا قرية ، سأل المتلمس غلاما ، يسقى غنيمة له من نهر الحيرة ان يقرأ له كتابه ، فاذا فيه «باسمك اللهم من عمرو بن هند الى المكعبر ، اذا

اتاك ككتابى هذا من المتلمس ، فاقطع يديه ورجليه ، وادفنه حيا ،
فالتى المتلمس الصحيفة فى النهر وقال : يا طرفة معك والله مثلها ،
فقال : كلا ما كان ليكتب لى مثل ذلك ، ثم اتى طرفة الى
المكعب ، فاقطع يديه ورجليه ، ودفنه حيا ، فضرب المثل بصحيفة
المتلمس ، لمن يسعى فى حتفه بنفسه ،

وقد جمعت اشعاره فى ديوان ، طبع فى فرنسا وغيرها
٣ — زهير بن ابى سلمى (توفى سنة ٦٣١ م)

هو من مزينة ، احدى القبائل من مضر ، وكان يقيم هو
وابوه وولده فى منازل عبدالله بن غطفان بالحجاز من نجد ، واول
من نزل هناك ابوه ابوسلمى ، لانه تزوج امرأة من بنى فهر بن
مرة ، من ذبيان بن غطفان ، فولدت له زهيرا واوسا ، وتزوج
زهير امرأة من سحيم بن مرة ، ولذلك كان زهير يذكر فى شعره
بنى مرة وغطفان ، ويمدحهم ، وكان لزهير اخلاق عالية ، ونفس
كبيرة ، مع سعة صدر وحلم وورع ، فرفع القوم منزلته ، وجعلوه
سيدا ، وكثر ماله ، واتسعت ثروته ، وكان مع ذلك عريقا فى
الشاعرية ، فكان ابوه شاعرا ، وكذلك خاله واختاه وابناه ، وكان
لشعره تاثير كبير فى نفوس العرب ، وكان مقربا من امراء ذبيان ،
وخصوصا هرم بن سنان والحارث بن عوف ، واول قصيدة نظمها
فى مدحهما معلقته المشهورة التى مطلعها :

امن ام اوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالتلم

قالها في فعله المعروف بحجب الدماء بين عبس وذبيان ،
وبما قاله في مدح هرم والحارث قرله :

فاقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قریش وجرم
يميننا لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم^٢
تداركتما عبسا وذبيان بعدما تفتانوا ودقوا بينهم عطر منشم^٣
وقد قلتما ان ندرك السلم واسعا بمال ومعروف من القول نسلم
فاصبحتما منها على خير موطن بعيدين فيها من عقوق ومأثم
وكان هرم قد حلف ان لا يمدحه زهير الا اعطاه ، ولا يساله
الا اعطاه ، ولا سلم عايه الا اعطاه عبدا او وليدة او فرسا ،
فاستحيا زهير من كثرة ما كان يقبل منه ، فاصبح اذا رآه في
ملا من الناس ، قال : « عموا صباحا غير هرم ، وخيركم استثنيت » ،
ويقال ان عمر بن الخطاب قال لبعض ولد هرم ، « انشدني بعض
مدح زهير في أبيك » فانشده فقال عمر ، « انه كان ايحسن فيكم القول »
فقال « نحن والله كدنا نحسن له العطاء » فقال عمر « وقد ذهب ما
اعطيتموه وبقي ما أعطاكم » .

(١) الضعيف (٢) القوى (٣) قيل انه اسم امرأة عطارة ،
اشترى قوم منها جفنة من العطر ، وقد تعاقدوا وتحالفوا ،
وجعلوا آية الحلف غمسهم الايدي في ذلك العطر ، فقاتلوا
العدو الذي تحالفوا على قتاله ، فقاتلوا عن آخرهم ، فتطير العرب
بعطر منشم ، وسير المثل به ، وقيل بل كان عطارا يشتري منه
ما يحنط به الموتى فصار المثل بعطره .

و مدح زهير ايضا سنان بن حارثة المري وحصن بن حذيفة
بن بدر وغيرهما ، ومن قوله في سنان :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم باولهم او مجدهم قعدوا
قوم ابوهم سنان حين تنسبهم طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا
انس اذا امنوا جن اذا فزعوا مردون بهاليل اذا جهدوا
محسدون على ما كان من نعم لا ينزع الله منهم مابه حسدوا
ومن قوله في حصن :

اخى ثقة لا يهاك الخمر ماله واكمنه قد يهاك المال نائله
تراه اذا ما جئته متهللا كذاك تعطيه الذى انت سائله
فن مثل حصن للحروب ومثله لانكار ضيم او لخصم يجادله
فزهير يمتاز بمدائحهم وحكمهم ، ومن ذلك قوله :

رايت المنيا خبط عشواء من تمت تمته ومن تخطى يعمر فيهرم
رايت سفاه الشيخ لاحلم بعده وان الفتى بعد السفاهة نحلم
واعلم ما فى اليوم والامس قبله واكمنى عن علم ما فى غد سمى
ومن لم يصانع فى امور كثيرة يضرس بانياب ويوطأ بهنسم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يضره ومن لا يتق الشتم يثتم
ومن يصنع المعروف فى غير اهله يعد حمده ذما عليه ويمدم
ومن لا يزل يستحمل الناس نفسه ولا يعفها يوما من الدهر يثام
ومهما تكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

ويظهر من آيائه انه كان يؤمن بالبعث، كما يقول:
 يوخر فيودع في كتاب فيدخر ليوم الحساب او يعجل فينتقم
 وقد جمعت اشعاره في ديوان، شرحه ثعلب المتوفى سنة
 ٢٩١ هـ. وقد طبع ديوانه مرات عديدة.

٤ — لبید بن ربیعۃ العامری (توفی ٦٧٠ م)

هو لبید بن ربیعۃ العامری، من قبيلة قیس كان من
 الشعراء المخضرمين المجيدين، قضی أكثر حياته في الجاهلية، ثم
 أسلم، وحسن اسلامه، ونزل الكوفة أيام عمر بن الخطاب، فاقام
 بها، حتى توفى في أواخر خلافة معاوية رضى الله عنه، وكان عمره
 اذ ذاك ١٤٥ سنة، أكثر اشعاره ما قالها في عهد الجاهلية، ولم
 يقل في الاسلام الا بيتا واحدا من الشعر وهو:

الحمد لله لما ينتهى اجلى حتى كسانى من الاسلام سربالا

ويقال ان عمر بن الخطاب ارسل الى المغيرة بن شعبة،
 وهو على الكوفة، استشهد من قبلك من شعراء مصر ما قالوا
 في الاسلام، فارسل الى الاغلب ولبيد بن ربیعۃ العامری،
 فكتب لبید سورة البقرة، واتى بها الى المغيرة، وقال «لقد
 ابدلنى الله هذا في الاسلام مكان الشعر، فكتب المغيرة الى عمر،
 فتمنص من عطاء الاغلب خمسمائة درهم، وجعلها في عطاء لبید.

كان لبید من اجواد العرب، وقد آلى على نفسه في
 الجاهلية ان لا تهب الا اطعم، وكان له جفتان، يغدو بهما

ويروح في كل يوم على مسجد قومه ، فيطعمهم ، فهبت الصبا
يوما ، والوليد بن عقبة في الكوفة ، فصعد الوليد المنبر ، فخطب
الناس ، ثم قال ان احاكم لبيد بن ربيعة قد نذر في الجاهلية ان
لا تهب الا اطعم ، وهذا يوم من ايامه ، وقد هبت صبا ،
فاعينوه ، وانا اول من فعل ، ثم نزل عن المنبر ، فارسل اليه
بمائة بكرة ، وكتب اليه بايات قالها :

ارى الجزار يشحن سفرتيه اذا هبت رياح ابى عقيل
اشم الانف اصيد عامرى طويل الباع كالسيف الصقيل
وفي ابني الجعفرى بحلقتيه على العلات والمال القليل
بنحر الكوم اذ سحبت عليه ذبول صبا تجاذب بالاصيل
فلما بانحت ايامه لبيدا ، قال لابنته اجميه ، فلعمري لقد
عشت برهة وما اعيا بجواب شاعر ، فقالت ابنته :

اذا هبت رياح ابى عقيل دعونا عند هبتها الوليدا
اشم الانف اروع عبشميا اعان على مروته لبيدا
بامثال الهضاب كان ركبا عليها من بنى حام قعودا
ايا وهبا جزاك الله خيرا نحرناها فاطعمنا الشريدا
فعد ان الكريم له معاد وظنى لا ابالك ان تعودا
فقال لها لبيد ، قد احسنت لولا انك استطعمته ، فقالت
« ان الملوك لا يستحيى من مسئلتهم » فقال وانت يا بنية في
هذه اشعر :

وقد مدحه النبي صلى الله عليه وسلم على قوله :
 الا كل شئ ما خلا الله باطل و كل نعيم لا محالة زائل
 ٥ - عمرو بن كلثوم (توفي سنة ٦٠٠ م)

هو من قبيلة تغلب ، وامه ليلى بنت مهلهل ، اخى كليب
 المشهور ، واشتهرت امه ليلى بالانفة ، وعظم النفس والتفاخر
 بابيها ، وساد عمرو بن كلثوم قومه تغلب ، وهو فى الخامسة عشرة
 من عمره ، وقد عمر طويلا ، وكان أعز الناس نفسا ، واكثرهم
 امتناعا وانفة ، وكان شاعرا مطبوعا ، اشتهر بمعاقته التى مطلعها :
 الا هبى بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمر الاندرينا
 وهى حماسية نغرية ، وقد نظمها غضبا لامه وقبيلته ، من
 عمرو بن هند ، صاحب الحيرة ، وكان عمرو بن هند هذا معجبا
 بنفسه ، فقال يوما للندماء ، «هل تعلمون ان احدا من العرب
 تأنف امه من خدمة أُمى» فقالوا : «نعم ام عمرو بن كلثوم» قال :
 «ولم ؟» قالوا : لان اباها مهلهل بن ربيعة ، وعمها كليب اعز
 العرب ، وبعلمها كلثوم بن مالك افرس العرب ، وابنها عمرو
 وهو سيد قومه ، .

فارسل عمرو بن هند ، صاحب الحيرة ، الى عمرو بن كلثوم
 يستزيره ، ويسأله ان تزور امه امه ، فاقبل ابن كلثوم من الجزيرة
 الى الحيرة فى جماعة من بنى تغلب ، واقبلت ليلى بنت مهلهل فى
 ظعن من بنى تغلب ، وامر عمرو بن هند بضرب رواق فيما

بين الحيرة و الفرات ، وارسل الى وجوه اهل مملكة كشته ، فحضروا مع وجوه بني تغلب ، فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رواقه ، ودخلت ليلى وهند في قبة من جانب الرواق ، وكان عمرو بن هند قد امر أمه ان تنجى الخدم اذا دعا بالظرف ، وتستخدم ليلى ، فدعا عمرو بمائدة ، ثم دعا بالظرف ، فقالت هند « فاوليني يا ليلى ذلك الطبق ، فقالت ليلى : لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها ، » فاعادت عليها ، والحت ، فصاحت ليلى واذا به يا لتغلب » فسمعها عمرو بن كلثوم ، فثار الدم في وجهه ، ونظر اليه عمرو بن هند ، فعرب الشر في عينيه ، فوثب عمرو بن كلثوم الى سيف لعمرو بن هند معلق بالرواق ، وليس هناك سيف غيره ، فضرب به رأس عمرو بن هند . ونادى في بني تغلب ، فاجابوا ما في الرواق ، وساقوا بجانبه ، وساروا نحو الجزيرة ، ثم انشد قصيدته التي حوت من الفخر والحماسة مع جزالتها ، فقد استلها بذكر الخمر ، ووصف شاربها وتأثيرها ، ثم وصف ليلى أمه ، وخاطب عمرو بن هند ، وافتخر بنفسه واهله ، وأشار الى ما اراده عمرو بن هند من احتقار والدته ، ثم قال :

وقد علم القبائل غير فخر اذا قبب بباطجها بنينا
 باننا العاصمون اذا اطعنا وانا الصارمون اذا عصينا
 وانا المنعمون اذا قدرنا وانا المهلكون اذا اتينا
 وانا الحاكمون بما اردنا وانا النازلون بحيث شئنا
 وانا التاركون لما سخطنا وانا الآخذون لما هويننا

وانا الطالبون اذا نقمنا وانا الضاربون اذا ابتلينا
وانا النازلون بكل ثغر يخاف النازلون به المنونا
ونشرب ان وردنا الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا
وقد وقف عمرو بن كلثوم بهذه المعلقة في سوق عكاظ،
فانشدها في موسم مكة، وكان بنو تغلب يعظمونها، ويرويها
صغارهم و كبارهم في مجتمعاتهم .

وليس لعمرو بن كلثوم ديوان معروف، ولكن اشعاره
متفرقة في كتب الادب .

٦ — الحارث بن حلزة اليشكري (توفي سنة ٥٨٠ م)

هو من بكر بن وائل، وكان به برص، وانما اشتهر بمعلقته
التي مطلعها:

أذنتنا بينها اسماء رب ثاو يمل منه الثواء

كان الحارث في وفد البكرين، الذين اتوا عمرو بن هند،
صاحب الحيرة، وخطيبهم النعمان بن هرم، فلما غضب ابن هند
عليه، واوشك ان يقضى لبني تغلب، قال الحارث بن حلزة
لقومه، اني قد قلت خطبة، فمن قام بها ظفر بحجته، وפלح على
خصمه، فرواها اناسا منهم، فلما قاموا بين يدي الملك لم يرضه
انشادهم، فقال لاراي احدا يقوم بها مقامى، ليكني اكره ان
اكلم الملك من وراء سبعة ستور، وينضح اثرى بالماء اذا انصرفت
(١) مقيم (٢) الاقامة ٣٠

عنه ، وكانوا يفعلون ذلك بمن فيه برص ، ثم قال الحارث :
 « انا احتمل كل ذلك في سبيل اعانة قومي واقرب من الملك »
 فقبل لعمر بن هند « ان به وضحا » اى برصا ، فامر ان تمد بينه
 وبين الحارث سبعة ستور ، فبدا يكلم معه ، فلما سمعته ام عمرو
 بن هند ، قالت : « تالله ما رأيت كاليوم قط رجلا يقول مثل
 هذا القول يكلم من وراء سبعة ستور » فقال الملك « ارفعوا
 الستور وادنوا الحارث » وازيات هذه الستور ، فاقعده الملك
 عنده ، وبالع في اكرامه ، وهو الذى يفخر على التغلبين ،
 اعداء بكر بن وائل ، ويمدح عمرو بن هند بقوله :

ايها الناطق المرقش عنا عند عمرو هل لذاك بقاء
 لاتخلنا على غراتك انا قبل ما قدوشى بنا الاعداء
 فبقينا على الشنائة تنميـنا حصون وعزة قعساء
 من لنا عنده من الخير آيات ثلاث فى كلهن القضاء

يريد ان يقول « ايها الناطق عند الملك الذى يبلغ
 عنا الملك ما يريه ، ويشككه فى محبتنا اياه ، ودخولنا تحت
 طاعته ، هل لهذا التبليغ بقاء ؟ لاتظننا متذللين متخاشعين لاغرائك
 الملك بنا ، فقد وشى بنا اعداؤنا الى الملوك قبلك ، فبقينا على
 بغض الناس ايانا ، واغرائهم الملوك بنا ، ترفع شأننا وتعل
 قدرنا حصون منيعة ، وعزة ثابتة لاتزول ، وهذا الملك هو الذى
 لنا عنده ثلث آيات ، اى ثلاث دلائل من دلائل غنائنا ، وحسن

بلائنا في الحروب والخطوب ، تقضى لنا على خصومنا في كلنا ،
اي يقضى الناس لنا بالفضل على غيرنا فيها

ولهو الذى يقول ان قومه هم الذين فكوا وخلعوا امرؤ:
القيس من حبسه وعناؤه بعد ما طال عليه زمانه ، كما يقول
وفككنا غل امرئ القيس عنه عند ما طال حبسه والعناء
وللحارث ابيات قليلة من غير معلقته ، مذكورة في كتب
الادب .

٧ — النابغة الذبياني (توفي سنة ٣٠٤م)

اسمه زياد بن معاوية ، من بطن ذبيان ، من قبيلة قيس ،
كان يفد على النعمان ، صاحب الحيرة ، ويمدحه ، ثم وقعت
العداوة بينه وبين المنخل الشاعر الشكري ، فوشى به الى النعمان ،
حتى هم بقتله ، فهرب النابغة الى بنى غسان ، ونزل بمالكهم عمرو
بن الحارث ، ومدحه ، ومازال مقيما عنده ، حتى مات عمرو ،
وخلفه النعمان اخوه ، فصار معه ، حتى اصطالح مع النعمان ،
صاحب الحيرة ، فعاد اليه .

جمع النابغة الذبياني من عطايا النعمان بن المنذر ، صاحب
الحيرة ، ثروة طائلة ، وصار يأكل ويشرب في آنية الذهب والفضة ،
وكانت له منزلة كبرى عند شعراء عصره ، فاذا جاء عكاظ
ضربوا له في سوقها قبة من جلد ، وجاء الشعراء يشدون اشعارهم ،
واول من انشده الاعشى ، ثم حسان بن ثابت ، ثم الخنساء ،

وهذا شرف لم ينله احد من الشعراء سواه، وله معلقة مشهورة،
التي تبدأ بهذا البيت:

عُوجُوا فحِوَا لَنَعْمَ دِمْنَةُ الدَّارِ ماذا تحيون من نَوَى واحجار
وقد مدح النابغة النعمان وعمرو بن هند من اصحاب
الحيرة، وعمرو بن الحارث الغساني، واخاه النعمان ووائل بن
الحلاج الكلبي، وهجا ابن زرعة، ورثى، واعتذر، وفاخر، وله
قصيدة اخرى غير معلقته، وصف فيها المتجردة، زوجة النعمان
بن المنذر، اولها:

من آل مية رائح او مغدى عجلان ذا زاد وغير مزود
ومن قوله في وصف المتجردة:

نظرت اليك بحاجة لم تقضها نظر السقيم الى وجوه العود
فبدت ترائب شادن متربب احوى احم المقلتين مقلد
اخذ العذارى عقدها فنظمته من لولوه متتابع متسرد
وله قصيدة أخرى، يعتذر بها للنعمان بن المنذر، بما بلغه
عنه فيما وشى به بنو قريع في امر المتجردة، ومن قوله .
لما راى واشق اقعاص صاحبه ولا سبيل الى عقل ولا اود

-
- (١) قفوا (٢) اسم حبيته (٣) ما اجتمع من آثار الديار
(٤) الذي يكون حول الحباء يمنع المطر (٥) جمع تربية العظمة من
الصدر (٦) الغزال (٧) اى تربيته النسوة (٨) اى لونها مائل
الى السواد (٩) اسود العينين (١٠) لابسة القلادة (١١) المتتابع
والمتناسق .

قالت له النفس انى لاارى طمعاً وان مولاك لم يسلم ولم يصد
فلك تبلغنى النعمان ان له فضلا على الناس فى الادنى وفى البعد
الواهب المائة الابكار زينتها سعدان توضح فى اوبارها اللبد
فمن اطاع فاعقبه بطاعته كما اطاعك والاه على الرشد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة تنهى الظلوم ولا تقعد على ضد
هذا الثناء فان تسمع لقائله فلم اعرض ابيت اللعن بالصفد
انبت ان ابا قابوس توعدنى ولا فرار على زار من الاسد
ها ان ذاعذرة ان لم تكن نفعت فان صاحبها قد تاه فى البلد
وله ديوان شعر ، طبع مرارا ، واخباره توجد فى سائر
كتب الادب .

٨ — الاعشى قيس بن ميمون (توفى ٦٢٩ م)

هو من بكر بن وائل ، من ربيعة ، وهو احد الاعلام
وفحول الشعراء العرب ، وبعضهم يقدمونه اذا طرب ، كما يتقدم
امراً القيس اذا غضب ، والناطقة اذا رهب ، وزهير اذا رغب ،
يقال انه اول من سأل بشعره ، وانتجع به اقاصى البلاد ، وكان
يفنى به ، فسموه صناجة العرب .

ولم يكن الاعشى يمدح قوما الا رفعهم ، ولم يهج قوما
الا وضعهم ، وهو الذى زوج بنات المخلق بايات قالها فيه ،
وقد ادرك النبى صلى الله عليه وسلم ، ومدحه بايات ، مطلعها :

الم تغتمض عيناك ليلة ارمدا وعادك من عاد السليم المسهدا
ومن قوله فيه ،

نبي يرى مالا ترون وذكره اغار لعمري في البلاد وانجدا
متى ماتناخي عندباب ابن هاشم تراحي وتلقى من فواضله يدا
له صدقات ماتغب ونائل وليس عطاء اليوم مانعه غدا
فلما علم ابوسفیان بذلك ، حرض قومه على ارضائه
بالرجوع ، خوفا من ان يسلم ، وينصره بشعره ، فجعلوا له مائة
من الابل ، فاخذها ورجع الى بيته ، وله معلقة مطالعها :
ما بكاء الكبير في الاطلال وسوالى وما ترد سوالى
وله ديوان شعر ، واخباره مذكورة في كتب الادب .

٩ - عنترة بن شداد العبسى (توفى سنة ٦١٥ م) .

هو من قبيلة عبس ، من قيس بن عيلان من الشعراء
الفرسان الشجعان ، ولد لعبد ، اسمها زبيبة ، وكانت حبشية ، فلما
ظهرت مواهبه ، اعترف به ابوه ، والحقه بنسبه .

شهد عنترة حرب داحس والغبراء ، وهو شاب ، وحضر
حروبا كثيرة ، ومعلقته التى مطالعها :

هل غادر الشعراء من متردم ام هل عرفت الدار بعد توهم
وهى مملوءة بالفخر والحماسة ، وهو الذى يخاطب حميته ،

ويقول :

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك ان كنت جاهلة بما لم تعلمي

تخبرك من شهد الواقعة اننى اغشى الوغى واعف عند المغنم
ومدجج كره الكماة نزاله لاعمى هربا ولا مستسلم
جادت له كفى بعاجل طعنة بمثقف صدق الكعوب مقوم
وكان اسود اللون مثل امه ، وامكنه اشهر ببطولته ،
وكرم اخلاقه ، ونبوغه فى الشعر ، وتزوج ابنة عمه عبلة التى
ذكرها فى ابياته كثيرا وكان يحبها كثيرا ، وهو الذى يقول :

يا دهر لا تبق على فقد دنا ما كنت اطلب قبل ذا واريد
فالقتل لى من بعد عبلة راحة والعيش بعد فراقها منكود
يا عبل قد دنت المنية فاندبى ان كان جفئك بالدموع وجود
يا عبل ان تبكى على فقد بكى صرف الزمان على وهو حسود
يا عبل ان سفكوا دمي ففعائلى فى كل يوم ذكرهن جديد
لهنى عليك اذا بقيت سبية تدعين عنتر وهو عنك بعيد
ومن قوله فى الفخر ببطولته وشجاعته :

انا العبد الذى يلقي المنايا غداة الروح لا يخشى المحاقا
اكر على الفوارس يوم حرب ولا اخشى المهتدة الرقاقا
وتطربنى سيوف الهند حتى اهيم الى مضاربها اشتياقا
وانى اعشق السمر العوالى . وغيرى يعشق البيض الرشاقا
وكاسات الامة لى شراب الذبه اصطباحا واغتباقا
واطراف ألقنا الخطى نقلى وريحانى اذا المضمار ضاقا

جزى الله الجواد اليوم عنى بما يجزى به الخيل العتاقا
 شققت بصدرة موج المنايا وخضت النقع لاختشى اللحاقا
 الا يا عبل لو ابصرت فعلى وخيل الموت تنطبق انطباقا
 سلى سيفى ورمحى عن قتالى هما فى الحرب كانا لى رفاقا
 سقيتهما دما لو كان يسقى به جبلا تهامة ما افاقا
 وكم من سيد خلعت ملقى يحرك فى الدما قدما وساقا
 ومن احسن شعره قوله :

بكرت تخوفنى الختوف كاننى اصبحت عن عرض الختوف بمعزل
 فاجبتها ان المنية منهل لابد ان اسقى بذاك المنهل
 فاقنى حياك لا ابالك واعلمى انى امرؤ ساموت ان لم اقل
 ان المنية لو تمثل مثلت مثلى اذا نزلوا بضنك المنزل
 وفى هذه يفخر باخواله من السودان اذ يقول :

انى لتعرف فى الحروب مواطنى فى آل عبس مشهدى وفعالى
 منهم ابى حقا فهم لى والد والام من حام فهم اخوالى
 ديوان شعره معروف ومقبول بين الناس، ومتداول
 بينهم، وليكن فيه ماله وماليس له، وقد وردت ابيانه فى كثير
 من كتب الادب .

١٠ — عبيد بن الابرص الاسدى (توفى سنة ٥٥٥ م)

هو من بنى اسد، من قبيلة مضر، وكان عبيد لا يقول
 الشعر فى صباه، وذكروا فى سبب ما بعثه على النظم، انه كان

ضيق الرزق، قليل المال، فأقبل ذات يوم بغنيمة له، ومعه
 اخته ماوية، ليوردا غنمهما، فمنعه رجل من مالك، وجهه،
 فانطلق حزينا مهموما، ثم ابتهل الى الله، ان كان فلانا ظلمنى
 ورماني بالبهتان، فادلى منى، وانصرنى عليه، ووضع رأسه،
 فنام، فرأى فى المنام ان رجلا اتاه بكبة من شعر القاها فى
 فيه، ثم قال «قم فقام وهو يرتجز»، واستمر بعد ذلك على
 قول الشعر، حتى صار شاعر بنى اسد غير مدافع، فنظم قصيدته
 البائية، وهى التى تعد من المعلقات، مطالعها:

اقفر من اهله ماحوب فـالمقطبيات فـالذنوب

وهى ٤٨ بيتا، نشرها التبريزى ملحقة بالمعلقات السبع،
 مع قصيدتى الاعشى والنابعة فى شرح القصائد العشر، وهو
 معدود من اصحاب المجمعرات، عند ابى زيد القرشى، صاحب
 جمهرة اشعار العرب، وجمهرته عنده هى نفس هذه المعلقة مع
 بعض التخيير.

وفى ايامه حكم حجر بن الحارث الكندى، والدامرى القيس
 على بنى اسد، وكان عبيد بن الابرص ينادمه، ثم تغير الملك عليه،
 وكان حجر يتوعده، فنظم فيه قصائد، ومن جماتها قصيدة يتغنى
 بها، ويفتخر عليه ومطلعها:

(١) وهى سبعة قصائد من اشعار الجاهلية فى الطبقة

الثانية بعد المعلقة

طاف الخيال علينا ليلة الوادي من أم عمرو ولم يلمم بميعاد
ويقول فيها :

الخير يبق وان طال الزمان به والشر اخبث ما اويعت من زاد
وابى بنو اسد مرة ان يدفعوا الاتاوة لحجر ، وقتلو
رسله ، فغضب وحاربهم ، وأباح اموالهم ، واخرجهم الى تهامة ،
وحبس بعض ساداتهم ، وفيهم عبيد بن الابرص ، فانشد عبيد
قصيدة جاء فيها :

ومنعتهم نجدا فقد حلوا على وجل تهامة
برمت بنو اسد كما برمت ببيضتها حمامه
جعلت لها عودين من نشم وآخر من ثمامه
مهما تركت تركت عفوا او قتلت فلا ملامه
انت المليك عليهم وهم العبيد الى القيامه
ذلوا لسوطك مثل ما ذل الاشقر ذوالخزامه

فاطلق حجر سيلهم ، ثم ثارت بنو اسد عليه ، وقتلوه ،
كما ذكرناه في ترجمة امرئ القيس وغضب امرئ القيس ولم يقبل
منهم دية ابيه ، وتوعدهم ، فقال عبيد قصيدة مطامحه

يا ذا المخوفنا بقتل ابيه ادلا لا وحيثا
وزعمت انك قد قتلت سراتنا لئلا وحيثا

هلا سألت جموع كندة يوم ولو اين ايننا

A 23021

٢٣٠٢١

ايام نضرب هامهم بيواتر حتى انخنيئنا
نحن الاولى فاجمع جمو عك ثم وجههم اليئنا
واعلم بان جياذنا آئين الا يقضين ديننا

وعمر عبيد طويلا ، حتى قتله المنذر بن ماء السماء ، يقال
ان المنذر قبل نديمين له من بنى اسد ، وهو غضبان ، فلما اصبح
ندم ، فبنى على قبريهما ضريحين ، سماهما الغريبين ، وجعل لنفسه
يومين في السنة ، يجلس فيهما هناك ، احدهما يوم نعيم ، والآخر
يوم بوس فاول من يطلع عليه في يوم النعيم يعطيه مائة من
الابل ، واول من يطلع عليه في يوم البوس يقتله ، ويطلق بدمه
الغريبين ، فاتفق لعبيد انه اتاه في يوم بوسه فقتله .

والعبيد ديوان شعر ، ونجد اخباره في الاغانى وغيره
من الكتب وهو الذى يقول :

ولا تظهروا د امرئى قبل خبره وبعد بلاء المرء فاذمم او احمدا
ولا تتبعن الراى منه تقصه ولكن براى المرء ذى اللب فاقتد
ولا تزهدن فى وصل اهل قرابة لذر وفى وصل الاباعد فازهد
تزود من الدنيا متاعا فانه على كل حال خير زاد المزود
تمنى امرء القيس موتى وان امت فتلك سبيل لست فيها باوحد
لعل الذى يرجو رداى وميتى سفاها وجبنا ان يكون هو الردى
فمن لم يمت فى اليوم لا بد انه سيعلقه حبل المنية فى غد

١١ — أمية بن أبى الصلت (توفى سنة ٦٢٤ م)

ومن غير اصحاب المملقات كثير من الشعراء الذين ذكرنا اسماءهم من قبل ، فمن اراد ان يطلع عنهم فعليه ان يتصفح الكتب عن تراجم هؤلاء ، وليكتننا سنذكر منهم ثلاثة فقط : (١) أمية بن أبى الصلت (٢) والسمؤال بن غريض بن عاديا (٣) والخنساء ، فان لهم شهرة خاصة فى تاريخ الادب والشعر .

فأما أمية بن أبى الصلت ، فهو من الشعراء الحكماء والزهاد ، الذين مالوا الى التدين قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ، وطمع فى النبوة ، وكان عالما بغير العربية على ما يظهر فاطلع على كتب القدماء ، مثل التوراة والانجيل ، وقد اورد فى شعره الفاظا غريبة ، لم تكن العرب تعرفها ، مثل السلطيط والتغور لله ، فربما اقتبسهما من الحبشية او غيرها ، وقد ذكر ابراهيم واسماعيل والدين الحنيف ، ووصف الجنة والنار فى شعره ، وحرم الخمر ، وكان ينكر الاوثان والاصنام ، وكان العرب ينتظرون خروج نبى منهم لان يهديهم . فكان أمية يأمل فى ان يكون هو هذا النبى ، فلما أعلن محمد صلى الله عليه وسلم رسالته ، لم يرض ان يعترف به ، وليكنه ما انفك يختلف الى الكنائس والصوامع ، ويجالس الرهبان والقسيسين ، واشعاره تتضمن حكما وفلسفة ، وهو الذى يقول :

الحمد لله ممانا ومصبحنا بالخير صبحنا ربى ومسانا
رب الحنيفة لم تنفذ خزائنها مملوءة طبق الآفاق سلطانا

الا نبي لنا منا فيخبرنا ما بعد غايتنا من رأس محيانا
بيننا يرينا آباؤنا هلكوا وبينما نفتنى الاولاد افتانا
وقد علمنا لو ان العلم ينزحنا ان سرف يلحق اخرانا باولانا

وله قصيدة يصف بها الله وملائكته ، ومطلعها :

لك الحمد والنعماء والمملك ربنا فلا شئ اعلى منك مجدا وامجدا
وبعد ان يصف العزة الالهية وجلسها يصف الملائكة
بقوله .

ملائكة اقدمهم تحت عرشه بكفيه لولا الله كلوا وابلدوا
قيام على الاقدام عانين تحته فرائصهم من شدة الخوف ترعد
وسيط صفوف ينظرون قضاه يصيخون بالاسماع للوحى ركذ
امين لوحى القدس جبريل فيهم وميكال ذو الروح القوى المسدد
وحراس ابواب السماوات دونهم قيام عليها بالمقاليد رصد

وله عدة قصائد فى حوادث النوراة ، كخراب سدوم
وقصة اسحاق وابراهيم ، وله قصيدة معدودة من المجمرات ،
مطلعها :

عرفت الدار قد اقوت سنينا لزئنب اذ تحل بها قطينا
وفى اشعاره معان واساليب لم تكن العرب تعرفها ،
اخذها من كتب غيره وادخلها فى شعره .

١٢ — السمؤال بن غريض بن عاديا (توفي سنة ٥٠٦ م)

هو من اليهود، صاحب الحصن الابلق بتيما، يضرب
المثل بوفائه، ضحى بابنه في سبيل الوفاء، ولم يفرط في الامانة
من الادرع والسيوف، التي اودعها عنده امرؤ القيس قبل
أن يتجه الى الشام، يريد الاستنجاد بالقيصر على اعدائه، فجاء
هؤلاء الأعداء، وطالبوا السمؤال بالأسلحة التي اودعها عنده
امرؤ القيس، فابى أن يعطيهم إياها، فهدبوه بالحرب، فرفض
وأغلق دونهم أبواب حصنه، وكان ابنه خارج الحصن، فوقع
في يد هؤلاء الناس، فأرسلوا الى السمؤال إنذارا بأنهم سيقتلون
ابنه ان لم يدفع لهم الأسلحة، فرفض أيضا، وقال لهم هذه أمانة
عندي، فلا اخونها، فقتلوا ابنه، فكتب هذه الايات يفتخر
على اعدائه وقال :

إذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه	فكل ردام يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها	فليس الى حسن الشاء سبيل
تغيرنا أنا قليل عديدنا	فقات لها ان الكرام قليل
وما قل من كانت بقاياها مثلنا	شباب تسامى للعلی وكول
وما ضرنا اذا قليل وجارنا	عزيز وجار الا كثرين ذليل
لنا جبل يحتله من نجيره	منيع يرد الطرف وهو كليل
رسا اصله تحت الثرى وسما به	الى النجم فرع لا ينال طویل
هو الابلق الفرد الذى شاع ذكره	يعز على من رame ويطول
وانا لقوم لا نرى القتل سبة	اذا ما رآته عامر وسلول

(توفيت سنة ٥٣٨ م) اخت جساس بن مرة الشيباني و خرنق بنت بدر بن هفان (توفيت سنة ٥٧٠ م) اخت طرفة بن العبد لأمه ، ولكن لم تصل اليها من اشعارهن الا القليل ، وقد انشدت الخنساء شعرها على النابغة في سوق عكاظ ، فاعجب به ، وقال : لولا ان هذا الاعمى (يريد الاعشى قيس بن ميمون) انشدني قبلك لفضلتك على شعراء هذا الموسم ، ولكن اكثرت ابياتها في رثاء اخيها صخر ، الذي كان قد قتل في يوم الكلاب ، فحزنت عليه حزنا شديدا . وخصصت أشعارها لرثائه ،

اسلمت مع قومها وأولادها وهي عجوز ، شهدت حرب القادسية (سنة ٦٣٧ م) ، وحرضت اولادها على الثبات في القتال ، فلما حمى الوطيس تقدموا واحدا واحدا ، ينشدون الرجز حتى قتلوا عن آخرهم ، وكانوا اربعة ، فلما بلغها الخبر ، قالت « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم » .

توفيت في زمان خلافة عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ، وكانت عندئذ بنت واحد وسبعين ومن اشعارها في رثاء اخيها صخر قولها :

يا عين مالك لا تبكين تسكبا اذا راب دهر وكان الدهر ربابا
فابكى اخاك لايتام وارملة وابكى اخاك اذا جاورت اجنابا
وابكى اخاك لخليل كالقطا عصب فقدن لما ثوى شيبا ونهابا
وللخنساء ديوان شعر كبير ، طبع في بيروت مشروحا

ولكنه كان زاهدا في الدنيا ، ينظر اليها نظر الفلاسفة ،
فلا يرغب في البقاء فيها كما يؤخذ من خطبته التي قالها في عكاظ :
« ايها الناس اسمعوا ووعوا ، واذا وعيتم فالتفّعروا ، انه من عاش
مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ... الخ ، رواها
ابوبكر الصديق رضى الله عنه وهى مشهورة ثم ختمها بقوله :

في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تمضى الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضى ولا يبقى من الباقيين غابر
ايقنت انى لا محالة حيث صار القوم صائر

ولعل الذى زهده في الدنيا وكرهها اليه المصيبة التى انتابته
بفقد اخوين كانا يعبدان الله ولا يشركان بالله شيئا ، فماتا ودفنهما ،
شق عليه مصابه بهما ، فكان يتردد الى قبريهما ويندبهما ، ومن
قوله فى قصيدة :

خليلي هبنا طالما قد رقدتما اجدكما لا تقضيان كراكما
الم تعلمنا انى بسمعان مفرد ومالى فيهما من خليل سواكما
اقسم على قبريكما لست بارحا طوال الليالى او يجيب صداكما
جرى الموت مجرى اللحم والعظم منكما كان الذى يسقى العقار سقاكما
تحمل من يهوى العقول وغادروا اخا لكما اشجاه ما قد شجاكما

المرأة في الجاهلية

واعلم ان المرأة في العهد الجاهلي كانت تتمتع بقسط كبير وافر من الحرية ، فكانت تشارك الرجل في كثير من اعماله ، وكانت علاقتها بزوجها على درجة من الرقي أكثر مما يخیل الينا ، وكانت تستشار في مهام الامور ، لانها كانت صاحبة رأى واردة وانفة ورفعة وحزم ، وكان الرجال لايزوجون بناتهم الا بعد ان يشاوروهن ، فكان الرجل يفخر بنسبه لأمه ، كما يفخر بنسبه لأبيه ، وكان تعدد الزوجات شائعاً ومعروفاً عند العرب ، ومع ذلك نبغ غير واحدة منهن في الحرب والسياسة والشعر والادب والصناعة والتجارة ، وكن يصحبن الرجال الى ساحة القتال ، ويداوین الجرحى ، ويحملن قرب الماء ، وينشدن الاشعار في تحريض رجال القوم على الثبات في المعركة .

ومن اللواتی اشتهرن في الجاهلية بكبر النفس والشجاعة وشدة البطش سلمى بنت عمر ، احدى نساء بنى عدی النجار ، فانها كانت امرأة شريفة لا تتزوج رجلاً الا وامرها بيدها ، واذا رأت من الرجل شيئاً تركته ، ومن اشتهرن بالبسالة في اثناء الغزوات عمرة بنت علقمة الحارثية ، فانها اشتركت مع قريش في معركة احد ، ولما رأت لواء قريش في ساحة القتال صريعاً اخذته ورفعته ، فلاذوا بها ، وفعلت همد بنت عتبة بن ربيعة بن عبدشمس ، امرأة ابى سفيان ، في تلك المعركة ما لم يفعله الرجال ،

فكانت تنشد الاشعار وتحرض قومها ورجالها على الثبات ، ولما انتهت المعركة خرجت مع النسوة ، تمتاز جثث الموتى ، فوجدت بينها جثة حمزة بن عبدالمطلب ، عم النبي صلى الله عليه وسلم ، فبقرت بطنه ، واخرجت كبده ، فلاكتها من غيظها ، فلم تستطع ان تسيغها ، فلفظتها ، (وفعلت ذلك لان حمزة كان قد قتل اباه عتبة و عمها شيبة ،) ثم علت صخرة ، وانشدت اشعارا تفخر بالفوز على المسلمين .

وكانت هناك نسوة شغفن بالشعر وحفظنه للمذاكرة به في المجالس ، فان عائشة ام المؤمنين كانت تحفظ كل شعر لبيد ، وكانت عائشة بنت طلحة اديبة وعالمة ولها مجالس شعر وادب ، وكانت في مكة خرقاء تحدث الاعراب وتناشدن بلاريب ولاسوء ظن ، وكذلك عمرة ، امرأة ابى دهل الشاعر ، تنشد الشعر وترويها للناس ، ومنهن من كان الشعراء يتقاضون اليها لنحکم في ايهما اشعر ، كما فعلت ام جندب زوجة امرئ القيس ، اذ حكما زوجها بينه وبين علقمة الفحل شاعر تميم ، فقالت لهما : انظما قصيدتين من وزن واحد وقافية واحدة ، تصفان بها الخيل ، فنظم امرؤ القيس قصيدته التي مطلعها :
 خليلي مرا بى على ام جندب لنقضى لبانات الفواد المعذب
 و نظم علقمة قصيدة مطلعها :

ذهبت من الهجران في كل مذهب ولم يك حقا كل هذا التجنب

فلما فرغ منها فضله ام جندب على امرئ القيس ،
فقال لها : فضله على ، فقالت : فرس علقمة اجود من فرسك ،
قال : وبماذا ؟ قالت : سمعتك زجرت وضربت وحركت وهو
قولك :

وللساق الهوب وللسوط درة وللزجر منه وقع اهوج منعب
ولكن علقمة ادرك فرسه ثانيا من عنانه وهو قوله :
واقبل يهوى ثانيا من عنانه يمرر كمر الرائح السمحلب
فغضب امرؤ القيس وقال : ليس كما قلت وليكنك
هويته ، فطلقها امرؤ القيس وتزوجها علقمة بعد ذلك .

ومن اشتهرت بالرأى والحزم والتجارة خديجة بنت
خويلد التي تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت عاقلة
حازمة لبيبة تتجر بمالها وتنفق ارباحه على الفقراء والمساكين ،
وهي التي نشطت النبي صلى الله عليه وسلم بالقيام بالدعوة الى الله
وثبتته في جميع المصائب في سبيل الاسلام وهونت عليه احزانه
عند مالتى من الكفار مالتى في سبيل دعوته .

وكان في الجاهلية خطيبات اشتهر منهن هند بنت الحنبل
وهي الزرقاء وجمعة بنت حابس ، ومنهن طبيبات مثل زينب
طبيبة بنى اود ، وكانت تعرف الطب وتداوى وتعالج العين
والجراح .

وهناك عشرات من النساء الشواعر، مثل كبشة اخت عمرو بن معدى كرب، وجليمة بنت مرة، امرأة كليب الفارس المشهور، وميسة بنت جابر، امرأة حارثة بن بدر، واميمة، امرأة ابن الدمينه، وكان ابو نواس الشاعر المشهور في عهد هارون الرشيد العباسي، يروى لستين شاعرة من العرب، وهذا يدل على كمال شعورهن وعقليتهن وصفاء اذهانهن.

ومن عاداتهم المستقبحة واد البنات احياء خشية العار والفقر، ولكن لم يكن هذا شائعا عند العرب جميعا، بل في بعض القبائل مثل بنى اسد وتميم، وكانوا يطلقون، والطلاق بيد الرجل الا انه كان هناك نساء يشترطن عند التزوج ان تكون المهرقة بايديهن.

الخطابة

واقتضت المنازعات بين العرب ان يتفاخروا ويتنافروا، فاحتاجوا الى الخطابة في الاقناع و تاليف الاحزاب، وكان العرب يخطبون بعبارة بليغة فصيحة، وهم وقوف في السرق او جلوس على رواحلهم، وعليهم العمام، وكانوا يعتمدون على الارض بالقسي ويشيرون بالعصى والقنا، وانما كانت الخطابة فيهم قريحة مثل الشعر، وكانوا اميين لا يقرأون ولا يكتبون، وكانوا يفدون على المناذرة ملوك العرب في العراق، والاكاسرة في ايران، كوفود حسان بن ثابت على النعمان بن المنذر بالحيرة،

وعلى آل جفنة في البلقاء ووفود وجهاء قریش على سيف بن ذی یزن فی الیمن بعد قتله الحبشة، وفدوا علیه للتهنئة بالنصر، وكان فی جملة خطباء ذلك الوفد عبد المطلب جد النبی صلی الله علیه وسلم، ومن هذا القبیل ایضا وفود القبایل على النبی صلی الله علیه وسلم بعد ان استتب له الامر، فقد جاءه من كل قبيلة وجهاءها، وخبرة بلغائها الدخول فی الاسلام او للاستفهام وغير ذلك، ومن هذا القبیل ایضا وفود العرب على الخلفاء للتسليم والتهنئة كوفود اهل الیمامة على ابی بکر ووفود جبلة بن الایهم وعمر بن معدی كرب على عمر بن الخطاب.

❦ قس بن ساعدة الایادی ❦

واشهر خطباء الجاهلیة قس بن ساعدة من بنی ایاد، وهو اسقف نجران، وهو اول من اتكأ عند خطبته على سيف او عصا، وقد ادركه الرسول صلی الله علیه وسلم وراه بعكاظ، فكان یأثر عنه كلاما یسمعه منه، وكان مومنا بالله والبعث، وكان فصیحا یضرب المثل بفصاحته، وكان یفد على قیصر زائرا، فیکرمه ویعظمه، فقال له قیصر: ما افضل العلم؟ قال: معرفة الرجل بنفسه، قال: فما افضل العقل؟ قال: وقوف المرء عند علمه، قال: فما افضل الادب؟ قال استبقاء الرجل ماء وجهه، قال: فما افضل المرؤة؟ قال: قلة رغبة المرء فی اخلاف وعده، قال: فما افضل المال؟ قال: ما قضی به الحق.

ولكنه كان زاهدا في الدنيا ، ينظر اليها نظر الفلاسفة ،
فلا يرغب في البقاء فيها كما يوحذ من خطبته التي قالها في عكاظ :
« ايها الناس اسمعوا ووعوا ، واذا وعيتم فانتفعوا ، انه من عاش
مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ... الخ ، رواها
ابوبكر الصديق رضى الله عنه وهى مشهورة ثم ختمها بقوله :

في الزاهبين الاولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تمضى الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضى ولا يبقى من الباقيين غابر
ايقنت انى لا محالة حيث صار القوم صائر

ولعل الذى زهده في الدنيا وكرهها اليه المصيبة التي انتابته
بفقد اخوين كانا يعبدان الله ولا يشركان بالله شيئا ، فماتا ودفنهما ،
شق عليه مصابه بهما ، فكان يتردد الى قبريهما ويندبهما ، ومن
قوله فى قصيدة :

خليلي هبما طالما قد رقدتما اجدكما لا تقضيان كراكما
الم تعلمنا انى بسمعان مفرد ومالى فيهما من خليل سواكما
اقيم على قبريكما لست بارحا طوال الليالى او يجيب صداكما
جرى الموت مجرى اللحم والعظم منكما كان الذى يسقى العقار سقاكما
تحمل من يهوى العقول وغادروا اخا لكما اشجاه ما قد شجاكما

فسأى اخ يجفوا اخا بعد موته فليست الذى من بعد موت جفا كما
 اصب على قبريكما من مدامة فالأ تنالاهما ترو جشأ كما
 اناديكما كيما تجيبا وتنطقا وليس مجابا موته من دعا كما
 كانكما والموت اقرب غاية بروحى فى قبريكما قد اتا كما
 قضيت بانى لا محالة هالك وانى سيعرونى الذى قد عرا كما
 فلو جعلت نفس لنفس وقاية لجدت بنفسى ان تكون فدا كما
 سابكيكما طول الحياة وما الذى يرد على ذى عولة ان بكا كما

وكان قس بن ساعدة من المعمرين توفى فى سنة ٦٠٠ م
 فى روحين وهى قرية قريبة من حلب ، وفى لطف جبل ، وهناك
 له مشهد مليح مقصود للزيارة .

ويقال انه كان يلبس المسوح ويتبع السياح على منهاج
 المسيح ، لا يغير الرهبانية ، وكان مقرا بالوحدانية ، تضرب بحكمته
 الامثال وتكشف به الاهوال ، وتبعه الابدال .

وله خطب واشعار قد ضاع معظمها ، وله اقوال جرت
 مجرى الامثال ، وجمعت هذه الاشعار والخطب والاقوال فى
 كتب التاريخ والادب والبيان

(٣)

البعثة النبوية

اديان العرب

كان العرب اكثرهم مشركين ، يعبدون الاصنام والاولثان ،
ويذبحون لها الذبائح والجزور ، وينذرون لها النذور ، وكانوا
يعتقدون ان الله هو واحد ، وان هذه الآلهة تقربهم الى الله زلفى ،
وكان لكل قبيلة اله خاص تعبده ، وكانت الكعبة مقدسة عند اهل
العرب جميعا ، يحجون اليها منذ زمان ابراهيم واسماعيل عليهما
السلام ، لانهما رفعوا قواعد البيت ، وطهراه للطائفتين والقائمين
والركع السجود ، وكان هذا البيت اول بيت وضع للناس لعبادة
الله وحده ، وامر ابراهيم ان يودن للناس بالحج ، ياتونه رجالا ،
وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق ، واكن عمرو بن لحي ،
زعيم بنى خزاعة ، افسد الدين الحنيف لابراهيم واولاده ، وجاء
بصنم ، ووضعه فى الكعبة ، فبدت قبائل العرب تعبد هذا الصنم ،
وتملأ الكعبة باصنام اخرى ، فكان هبل معبودا اكبر لهم ، يعتقدون
انه يناصرهم وينجدهم فى الحروب ضد الاعداء ، وكان هذا الصنم
فى الكعبة ، وكذلك كانت اللات احدى الهات العرب تعبد فى

الطائف، وكانت المناة تعبد كالهة القضاء والقدر بمثابة بحجر أسود على الطريق بين مكة والمدينة، فيحجون إليها وينذرون لها النذور، وكانت العزى معبودة ثالثة، اقاموها بين مكة والطائف، سحقها خالد بن الوليد بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة، وقد ذكر القرآن هذه الآلهة الثلاثة، وقال: افرايتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، الكم الذكر وله الانثى، تلك اذا قسمة ضيزى، ان هي الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم، ما انزل الله بها من سلطان، (النجم).

وكان بعض العرب ينفرون من الشرك، ويوحدون الله، ويطلبون ديناً قيماً لانفسهم، وكانت الاديان المعروفة عندهم، هي اليهودية والنصرانية والصائبية، فبعضهم اعتنقوا النصرانية، لانها كانت جديدة. حديثة العهد، انتشرت بعد دين موسى عليه الصلوة والسلام، وكان ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى (٥٩٢ م) وزيد بن عمرو بن نفيل (٦٢٠ م) اعتزلا الاوثان، وامتنعا عن اكل ذبائحهم، وكان ورقة يكتب اللغة العربية بالجراف العبراني، وقد شاخ وكف بصره، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ما رأى قبل ان يوحى اليه، اخذته خديجة عند ورقة، الذى كان ابن عمها، وقصت عليه القصة، فقال انه الناموس الاكبر الذى كان ياتى الى موسى، وانه لنبي هذه الامة «وكان زيد بن عمرو بن نفيل يقول: يا معشر قريش أيرسل الله قطر السماء، وينبت بقل الارض، ويخاق السائمة، فترعى فيه، وتذبحونها لخير الله،»

فاخرجه القرشيون من مكة ، ومنعوه ان يدخلها ، وكان اشد هم عليه الخطاب بن نفيل ، والد عمر رضى الله عنه ، وكان قد تخلف عن عبادة الاوثان اربعة من قریش ، وهم ورقة وزيد المذكوران وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث ، فاجتمع هؤلاء ، وتواطأوا على رفض الوثنية ، وعبادة الاصنام ، وعلى ان يضربوا فى البلدان يلتمسون الخليفة ، دين ابراهيم ، فلما اراد زيد الخروج منعه الخطاب عمه ، وعاتبه على هجر دين آباءه ، ولكنه خرج سائحا ، ويقال انه قتل فى الشام ، وله اشعار منها .

واسلمت وجهى لمن اسلمت له الارض تحمل صخرائقالا

دحاها فلما رآها استوت على الماء ارسى عليها الجبالا

واسلمت وجهى لمن اسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا

اذا هى سيقت الى بلدة اطاعت فصبت عليها سجالا

وكانت اليهودية والنصرانية شائعتين فى المناطق الشمالية من جزيرة العرب ، وكذلك فى بعض المدن من سواحل العرب فى الجنوب ، والكتاب المقدس عند اليهود هو التوراة التى تتضمن اسفار العهد القديم الخمسة الاولى ، اى التكوين والخروج والاحبار والعدد والثنية الاشتراع ، وفى التكوين اخبار خلق العالم ، واخبار نوح وابراهيم ولوط واسحق ويعقوب وابناءه ، وينتهى هذا السفر بقصة يوسف عليه السلام ، وفى الخروج قصة ولادة موسى عليه السلام ونبوته وخروجه من مصر ، ونجاة بنى اسرائيل من فرعون وملائه ، وفى الاسفار الثلاثة الاخرى التوصيات الموسوية

فى الاخلاق والشرائع والطقوس الدينية، وهذه هى التوراة الاصلية، فلما قضى يوشع بن نون من اصحاب موسى حياته، الحق كتابه باسمه الى هذه الاسفار الخمسة، ثم ازدادت هذه الاسفار سفرا بعد سفر، حتى تضمنت هذه الاسفار كلها للحوادث والوقائع التى حدثت فى زمان قضاة بنى اسرائيل وملوكهم، وكان من اشهرهم داود وابنه سليمان، ففيها زبور داود وغزلات سليمان وامثاله، ولكن اتباع دين موسى عليه السلام نسوا اكثر تعاليمه، وعملوا بما لم يؤمروا به، واضاعوا الصلوة، واتبعوا الشهوات وكانوا ياخذون الربا اضعافا مضاعفة، ويأكلون اموال الناس بالباطل، يحرفون الكلم عن مواضعه فى التوراة، ويؤولون احكامها تأويلا باطلا، فبعضهم اعتقدوا بالوهية عزير، وقالوا انه ابن الله مع ان يوشع بن نون قد شدد عليهم ذكيره، وامرهم ان لا يعبدوا الا الله وحده، وكان اليهود عامة قبيل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم من ذوى الثروة والسطة، وعندهم حصون منيعة، واموال طائلة، يحكمون على العرب بسبب جاههم وثروتهم، وكان النصارى اتباع دين المسيح عليه الصلوة والسلام يبغيضون اليهود اشد البغض، وكانوا يدعون انهم من اصحاب الصراط المستقيم، فمن اتبعه فقد رشد، ومن لم يتبعه فقد غوى، وقد كانت العداوة والبغضاء قائمة بين اليهود والنصارى طوال خمسة قرون قبيل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم، فلذلك «قالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على

شئ وهم يتلون الكتاب » فتعاليم عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام منضبطة في الاناجيل الاربعة المنسوبة الى متى ويوحنا ومرقص ولوقا، والانجيل كلمة يونانية، معناها البشرى، وسميت بالانجيل لانها اتت للانام. يبشرى الخلاص على يد المسيح عليه الصلوة والسلام، ولكن المسيح قد صرح للناس بانه لم يات في هذه الدنيا لينسخ التوراة واحكامها، بل جاء لاقامتها كلها، ولكن النصارى نسوا التوراة، وغيروا عقيدتهم بالنسبة للمسيح عليه الصلوة والسلام، فقالوا انه ابن الله او الله نفسه، فقد ضلوا واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل، وقالوا انه تحمل جميع ذنوب متعيه، وصلب لكي ينجيهم من النار.

والصائبة قوم، كانوا يعبدون الكواكب والهيكل، وكان مقرهم حران، وقد ذكرهم القرآن كطائفة من اهل الكتاب، وكان العرب يعرفونهم ويعدونهم تابعين لدين غير مستحسن،

﴿ ابرهة الاشرم وقصة الفيل ﴾

وكان الناس في اليمن معتنقين باليهودية، لان ملكه ذومرأس قد قبل اليهودية، واقام لهم المعابد والهيكل، واخذ يدعو الناس الى هذا الدين، فدخل في طاعته بعض العرب راغبين وراغبين.

ولما غلب ابرهة بن الصباح الاشرم على اليمن، وماكها من قبل النجاشي، وكان نصرانيا رأى العرب يتجهزون ايام الموسم للحج، فقال اين يذهبون، فقيل له يحجون بيت الله بمكة، فحدثه نفسه ان يحول ابصار الناس من مكة الى بلده، فبنى معبدا في

صنعاء وحلاه بالذهب والفضة وانواع الجواهر ، واذل اهل اليمن على بناء ، وكافهم بانواع المشقة والمحنة ، واجبرهم على ان يحجروا هذا البيت بدل ان يذهبوا الى مكة ، ولما اشتهر هذا الخبر عند العرب ، خرج رجل من كتاتة مغضبا ، فتخوط فيه ، وخرج ولحق بارضه ، فاشتد غضب ابرهة لذلك ، واقسم ليهدم الكعبة ثم كتب الى الملك النجاشي يخبره بذلك ، ويستأذنه في المسير الى مكة ، فسار في جيش كبير يتقدمه الفيل «محمود» .

واستعد العرب للقاءه ، وبذلوا الجهود لمقاومته ، وامكن النصر لم يكتب لهم ، فهزموهم ابرهة ، وواصل مسيره ، وكان معه دليله ابو رغال من العرب ، فلما بلغ الخمس بطريق الطائف مات ابو رغال ، فرجعت العرب قبره ، ولما بلغ ذلك الخبر عبدالمطلب ، جد النبي صلى الله عليه وسلم ، قال يامعشر قريش لاتفزعوا ، لان هذا البيت له رب يحميه ويحفظه ، فارسل ابرهة رجلا من الحبشة ، يقال له الاسود بن مفسود على خيل له ، وامره بالغارة ، فمضى حتى انتهى الى مكة ، واستاق ابل قريش وغنمها ، وكان اعبد المطلب فيها مائتا بعير ، فذهب عبد المطلب الى ابرهة ، وكلم معه في رد البعير اليه ، فتعجب ابرهة ، وقال اتكلمنى في مائتى بعير ، وتترك بيتا هو دينك ودين آباءك قد جئت لهدمه ، لاتكلمنى فيه ، فقال عبد المطلب انى انا رب الابل ، وان للبيت ربا سيمنعه ، قال ماكان ليمنع منى ، قال انت وذاك فرد عليه ابله .

وانصرف عبدالمطلب الى قریش وامرهم بالخروج من مكة الى الجبال والشعاب ، تخوفا عليهم من معرة الحبشة .

فتها ابرهة لدخول مكة مع جيشه وسار ، ولما كان الفيل برك ، فضربوه في رأسه ضربا شديدا ، ليقوم قابى ، فوجهوه راجعا الى اليمن ، فقام ، ولما وجهوه الى الشام برك ففعل الفيل ذلك مرات ، فتشام ابرهة واعوانه ، ويسوا من المسير الى مكة ، فارسل الله عليهم طيرا ابابيل من البحر ، مع كل طائر منها ثلاثة احجار ، حجر في منقره ، وحجران في رجله ، كامثال العدس ، لا تصيب احدا منهم الا اهلكته ، فخرجوا هاربين ، يتساقطون بكل طريق ، واصيب ابرهة في جسده بداء ، وتساقطت انامله انملة انملة ، وسال منه الصديد والقيح والدم ، فارتد عائدا الى بلاده ، فا كاد يباغ صنعاء ، حتى لحق بمن هلك من جيشه ، والى هذه القصة اشار سبحانه وتعالى بقوله لنبيه عليه السلام : « الم تركيف فعل ربك باصحاب الفيل ، الم يجعل كيدهم في تضليل ، وارسل عليهم طيرا ابابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف ماكول » وكان هذا عام ولادة النبی صلی الله عليه وسلم ، اى سنة ٥٧٠ م ، وصار هذا الحادث العظيم من اشهر وقائع التاريخ التى يورخ العرب بها فيقولون :

« حدث هذا فى عام الفيل او قبله او بعده »

﴿بداية الاسلام﴾

الاسلام هو دين الله اقامه الانبياء في زمانهم ، فكانوا يدعون الناس ان يعبدوا الله وحده ، ولا يشركوا به شيئاً ، وان يقيموا الصلوة ، ويؤتوا الزكاة ، ويصوموا ويحجوا البيت ،

نسب النبي صلى الله عليه وسلم

عدنان : وهو اول من كسا الكعبة ، او كسيت في زمانه ،

▽

تزوج امرأة من قومه ، اسمها الامينة .

معد : وكنيته ابوقضاعة وابو نزار ، كان صاحب حروب

▽

وغارات على نبي اسرائيل ، ولم يحارب احدا الا

رجع بالضر والظفر .

نزار . تزوج سودة بنت عك بن عدنان .

▽

مضر : وهو اهل من سن الحداد للابل وذلك انه سقط عن

▽

بعيره ، وهو شاب ، فاكسرت يده فقال يا يداه

يا يداه ، فانت اليه الابل من المرعى ، فلما صح

وركب الابل حدا ، وكان من احسن الناس صوتاً ،

تزوج امرأة جرهميه .

الياس : تزوج خندف بنت عمران القضاية .

▽

مدركة : .. تزوج امرأة من قضاعة .

▽

وان يتحلوا انفسهم بالاخلاق الحسنة ، وكان نوح عليه السلام منيها
مسلمًا ، وكذلك كان ابراهيم واسماعيل واسحق ولوط ويعقوب
ويوسف وموسى وداؤد وسليمان وعيسى ومحمد كلهم من المسلمين ،

خزيمة : تزوج عوالة بنت سعد بن قيس بن عيلان بن
مضر . ٧

كنانة : تزوج برة بنت مرة اخت تميم بن مرة بن اد بن
طابخة بن الياس بن مضر . ٧

النضر : اسمه قيس ، تزوج هند بنت عدوان بن عمرو بن
قيس بن عيلان . ٧

مالك : تزوج جندلة ابنة الحرث بن مضاض . ٧

فهر : اسمه قريش ، واليه تنسب قبيلة قريش ، تزوج سلمى
بنت سعد بن هذيل بن مدركة . ٧

غالب : تزوج وخشية بنت مدلج بن مرة بن عبد مناف ، بن
كنانة . ٧

لؤى : تزوج سلمى بنت محارب بن فهر بن مالك بن
النضر . ٧

كعب : وهو اول من جمع الناس لمجرد الوعظ يوم العروبة ،
وكانت قريش تجتمع اليه في هذا اليوم ، تزوج
وخشية بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك
بن النضر .

وقد شهد القرآن على ان كلا منهم كان مسلما ، وان الاسلام هو دين الله ، ومن يتبغ غير الاسلام ديننا فلن يقبل منه .

مرة : تزوج نعم بنت سرير بن ثعلبة بن الحرث بن مالك بن كنفالة بن خزيمة .

كلاب : اسمه حكيم ، وقيل عروة ، تزوج فاطمة بنت سعد بن سيل العنري .

قصي : اسمه زيد ، تزوج عاتكة بنت فالج بن ذكوان من بني سليم .

عبدمناف : اسمه المغيرة ، ساد في حياة ابيه ، وكان مطاعا في قريش ، تزوج عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان من بني سليم .

هاشم : اسمه عمرو ، تزوج سلمى ابنة عمرو من بني النجار .

عبد المطلب : اسمه شيبة الحمد ، مات ابوه هاشم بغزة ، وكان حرج اليها تاجرا وترك ام عبد المطلب بالمدينة ، فاقامت عند اهلها من الخزرج فكبر عبد المطلب ، فجاء عمه المطلب ابن عبد مناف فاخذه ، ودخل به مكة ، قرآه الناس فقالوا هذا عبد المطلب ، فلما تحسن حاله اظهر انه ابن اخيه تزوج :

ولما ظهر الفساد في البر والبحر بعد عيسى على نبينا
وعليه الصلاة والسلام، وفسدت الاخلاق، وتغيرت العقائد
الصنحية، اوحى الله تعالى الى محمد صلى الله عليه وسلم ان ينذر

(١) صفية بنت جندب من بنى عامر بن صعصعة
فولدت له الحارث وقتما واروى، زوجة عمر ابن،
وهب بن عبد الدار ابن قصي.

(٢) نثيلة بنت جناب ابن كليب بن مالك بن عمرو
بن عامر، فولدت له العباس وضرارا.

(٣) هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة،
فولدت له المقوم وجعل وحمزة وصفية ام الزبير
بن العوام بن خويلد.

(٤) آمنة بنت هاجر الخزاعي، فولدت له ابالحب.

(٥) فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمرو بن مخزوم،
فولدت له الزبير وعبد الكعبة وابا طالب وعبد الله
وعاتكة واميمة، زوجة جحش بن رباب، والبيضاء
ام حكيم، زوجة كريض بن ربيعة بن حبيب بن
عبد شمس بن عبد مناف، ام اروى، ام عثمان بن عفان
وبرة وكانت عند ابي رهم بن عبد العزى العامري بن
عامر بن لؤي، فولدت له اباسبرة صحابيا، شهد بدر،
ثم خلف عليها عبد الاسد بن هلال بن عبد الله

الناس بالتخلي عن العقائد والأعمال الفاسدة، ويدعوهم الى إقامة الدين الخالص لله وحده، ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويزكيهم

بن عمر بن مخزوم فولدت له ابا سلمة الذي كانت عنده ام سلمة بنت ابي امية سهيل بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر ابن مخزوم، فتزوجها النبي صلعم في سنة اربع من الهجرة .

عبدالله : كان من اجمل الناس، تزوج آمنة بنت وهب بن عديمناف بن زهرة بن كلاب توفي قبل ان يولد له النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة ودفن بالابواء .

٧

محمد رسول

الله صلعم : تزوج :

(١) خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى، فولدت له القاسم وزينب ورقية وام كلثوم وفاطمة . توفيت في العام العاشر من النبوة،

(٢) سودة بنت زمعة، توفيت في خلافة عمر ابن الخطاب .

(٣) عائشة بنت ابي بكر الصديق، توفيت سنة ٥٧ هـ .

(٤) حفصة بنت عمر ابن الخطاب، توفيت في شعبان سنة ٤٥ هـ .

من الاخلاق الدنيئة، فظهر صاحب هذه الدعوة في مكة في آخر القرن السادس في سنة ٥٧٠ م - وكان اسمه محمداً .

(٥) أم سلمة بنت ابي امية سهيل ابن المغيرة بن

عبد الله بن عمر ابن مخزوم، توفيت سنة ٥٩ هـ

(٦) أم حبيبة بنت ابي سفيان بن حرب بن امية بن

عبد شمس بن عبد مناف، توفيت سنة ٤٤ هـ .

(٧) زينب بنت جحش بن رباب، ابنة عمه النبي،

اعنى اميمة بنت عبد المطلب، توفيت سنة ٢٠ هـ .

(٨) زينب، ام المساكين، بنت خزيمة بن الحارث بن

عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر

بن صعصعة بن بكر بن هوازن الهلالية، توفيت

سنة اربع من الهجرة في حياة النبي صلى الله عليه

وسلم .

(٩) ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن حزم

بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة

هلالية، توفيت سنة ٥١ هـ .

(١٠) جويرة بنت الحارث بن ابي ضرار بن عائذ بن

مالك بن جذيمة الخزاعية المصطلقية، توفيت سنة

هو ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف
بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوى بن غالب بن فهر
بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن
مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

وكان عبد المطلب جده هو الذى حفر بئر زمزم بعد ان
بقيت مجحولة ومطمومة لأكثر من ثلاثة قرون ، برؤيا منام رآها
عبد المطلب ، دلته على حفرها ، فجعل يحفر ثلاثة ايام ، فلما بدأ
له الطى كبر ، وقال هذا طى اسمعيل ، فلما تمادى الحفر وجد
الغزالين والاسياف والادرع التى دفنتها جرم ، قائم حفر زمزم
واقام سقايتها للحاج ، فصارت هذه البئر لا يفرغ ماؤها ولا ينتهى
منابعها .

توفى ابوه عبد الله وامه حامل به ، وقد توفيت امه آمنه
بنت وهب بن عبد مناف وهو ابن ست سنوات ، فأكمله جده

(١١) صفية بنت حيمى بن اخطب بن سعية بن ثعلبة

بن عبيد من بنى اسرائيل من سبط لاوى بن
يعقوب ، ثم من سبط هارون بن عمران اخى موسى
عليهما الصلوة والسلام ، توفيت سنة ٥٠ هـ

(١٢) مارية القبطية بنت شمعون ، هى من صعيد مصر ،

اهداهما المقوقس ملك مصر ، فولدت له ابراهيم ،
ماتت فى خلافة عمر رضى الله عنه سنة ١٦ هـ .

عبد المطلب، وايمانه لم تطل مدة كفالته، فمات وسن محمد ثمانى سنوآت، فكمله عمه ابوطالب، تنفيذًا لوصية جده قبل وفاته، وكان عمه ابوطالب صاحب تجارة، كباقى قريش، فاصطحب محمداً فى سفراته التجارية الى الشام، فاشتهر منذ حدائته بالذكاء والفطنة والأمانة والصدق والعفاف والاخلاص، وبلغ خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى ما اشتهر به محمد بالامانة والاخلاص والصدق، وكانت امرأة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال فى مالها، وتعطيهم جزءا من الارباح، فارسلت اليه ليخرج فى مالها الى الشام تاجرا، ووعده بان تعطيه اكثر مما كانت تعطى غيره، فاجاب لطلبها، وخرج فى تجارتها مع عبدها ميسرة، حتى قدم الى الشام، فاصاب ارباحا كثيرة، فازدادت اعجابا به، فعرضت عليه نفسها، فدخل اعمامه على خويلد بن اسد وطلبوها له، فاجاب، فتزوجها محمد صلى الله عليه وسلم، وانجب منها اربع بنات، اعنى زينت ورقية وام كلثوم وفاطمة.

بدء الوحى

ولما بلغ الاربعين من عمره مال الى الاعتزال والخلوة، فكان يذهب الى غار حراء فى جبل من شمال شرق مكة، يتعبد فيه الليالى ذوات العدد، ثم يرجع الى اهله ويتزود لمثلها.

وفى رمضان من تلك السنة كان بغار حراء، فرأى جبرئيل، الذى قال له يا محمد «اقرأ»، فقال: «ما انا بقارئ»، فضمه اليه وارسله، ثم قال يا محمد «اقرأ»، فاجاب مثل الجواب الاول، فضمه اليه مرة ثانية، ثم ارسله، وقال يا محمد «اقرأ»

باسم ربك الذى خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك
الاکرم الذى علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم، فكان هذا
اول وحى اوحى الله اليه، فاسرع الى خديجة، وقص عليها
القصة، فاخذته الى ابن عم لها، يقال له ورقة بن نوفل، وكان
عالما بالتوراة والانجيل، فلما سمع حديثه قال: «هذا هو الناموس
الاکبر الذى انزل على موسى بن عمران عليه السلام وانه
لنبي هذه الامة».

فدعا النبي صلى الله عليه وسلم عشيرته الاقربين، ومنعهم
عن عبادة الاصنام والاولثان، وحذرهم عن الاخلاق الدنيئة
واكد لهم الايمان بالله وحده، فلم يقبل دعوته الا زوجته خديجة،
وابن عمه على، وصاحبه ابوبكر الصديق رضى الله تعالى عنهم،
وخالفه عمه ابولهب، وكان اشد هم وطاة عليه، ولكنه استمر
في دعوته وتبليغه، حتى قبل دعوته نفر قليل من قريش، منهم
ابوعبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون وغيرهما.

فلما جاهر النبي صلى الله عليه وسلم بدعوته، ونسب الى رجال
قريش وآباءهم الضلال، غضبوا عليه واجمعوا على مقاومته هو
واتباعه فكانوا يضربون اتباعه، مثل بلال وعمار بن ياسر ضربا
شديدا مبرما، ويؤذونهم باشد الاذى، ولكن لم يستطيعوا ان
يردوهم الى الكفر، فازداد غيظهم وحنقهم عليه، ولم يجدوا اليه
سيلا، لانه كان في كفالة عمه ابي طالب، فجاء اشراف قريش الى
عمه، وبينهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس والاسود بن

المطلب بن عبد مناف والعاص بن وائل وغيرهم، وقالوا يا ابا طالب ان ابن اخيك قد عاب ديننا، وسفه احلامنا، وسب آلهتنا، وضال آباءنا، فاما ان تكفه عنا، واما ان تخلي بيننا وبينه، فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فقال لهم ابوطالب قولوا جميلا، وردهم ردا رقيقا.

ثم رأوه لا يزال يعيب دينهم، ويسب آلهتهم، فعادوا الى ابى طالب، وقالوا له: «انا والله لانصبر على هذا من شتم آلهتنا وآباءنا، وتسفيه احلامنا، حتى تكفه عنا، او ننزله وياك حتى يهلك احد الفريقين، فاستعظم ابوطالب عداوة اشراف قريش له، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم، وقص عليه ما قالت له قريش، ثم قال له: «يا ابن اخي لاتحملنى مالا طاقه لى به» - فاحس النبي صلعم ان عمه ميتركه، فقال: «ياعماه لو وضعوا الشمس فى يمينى، والقمر فى شمالى، على ان اترك هذا الامر، حتى يظهره الله او اهلك دونه ماتركته فلما رأى عزمه الجازم فى تبايغ دعوته قال له: «اذهب يا ابن اخى وقل ما احببت والله لن يصلوا اليك مادمت حيا».

فلما فشل اشراف قريش فى استرضاء ابى طالب على منع ابن اخيه من اظهار دعوته، ارادوا ان يسترضوه بالحيلة، فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم «والله انا لا نعلم رجلا من العرب جاء قوم به مثل ما جئت به قومك، لقد شتمت الآباء، واحترقت الآلهة، وعبت الدين، وسفهت الاحلام، وفرقت الجماعة، فان

كنت جئت بهذا تطلب مالا او جاها او شرفا نعطيك اياه ، او تريد ان تكون ملكا للعرب فنحن نملكك علينا ، او تريد زواجا من امرأة ذات مال وجمال وحسب وشرف فنحن نزوجك اياها ، او غلب عليك مرض فنحن نطلب لك الدواء من طبيب عاقل لبيب لكي يبرئك ويشفيك ، فقال : « والله ما بى ما تقولون ، لا اطلب عنديكم مالا ولا جاها ولا شرفا ولا زواجا من جميلة ولا ملكا وما بى من سوء حتى تبرئوني بل انى عبد الله ورسوله ، أنزل على الكتاب وامرني ان ادعوكم الى عبادة الله وحده ، فان تقبلوا منى ما جئكم به فهو حظكم فى الدنيا وفى الآخرة ، وان تردوه على اصبر على ما يصيبني واتباعي من الأذى و افوض امرى الى الله ، وانتظر حتى يحكم الله بينى وبينكم وهو احكم الحاكمين . »

﴿ هجرة المسلمين الى الحبشة ﴾

فلما لم ينجحوا فى استرضائه جعلوا يسومون اتباعه سوء العذاب ، فآشار عليهم النبى صلى الله عليه وسلم ان يهاجروا الى بلاد الحبشة ، فهاجروا اليها سنة خمس من النبوة احد عشر رجلا واربع نسوة وكان اميرهم عثمان بن مظعون ومعه عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وزبير بن العوام وغيرهم ، ثم هاجر اليها المسلمون مرة ثانية باذن النبى صلعم ، وكان عددهم ثلاثة وثمانون رجلا ، وثمانى عشرة امرأة ، وكان منهم عمار بن ياسر وعبد الله بن جحش وجعفر بن ابى طالب وعبد الله بن مسعود وغيرهم ، وارسلت قريش عمرو بن العاصى بن وائل

(فاتح مصر) وعبد الله بن ابى ربيعة بن عمر بن المغيرة المخزومي بتحف وهدايا الى الملك النجاشي ، كي يسلمهم المهاجرين الصابئين (على قولهم) من مكة ، فدعاهم اليه ، وتكلم جعفر بن ابى طالب مع النجاشي ، وشرح له ما كانوا عليه من سوء الحال ، وكيف دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه من المسلمين الى دين قيم صالح ، فقال : « ارجعوا الى مكانكم ، وكونوا مطمئنين ، فوالله لن يصيبكم احد بسوء ما دتم ساكنين في مملكتي ، فرجع وفد قريش خائبين وخاسرين .

وفي السنة السادسة من نبوته اسلم عمه حمزة بن عبدالمطلب ، وبعد ايام قلائل اسلم عمر بن الخطاب فقوى امر المسلمين ، وجأهروا بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم على ملاء من الناس في الكعبة وغيرها من الاماكن المعروفة . فانتشر خبره في المدائن والقوى من الحجاز ونجد ، واشتاق الناس ان يروه من قريب ويسمعوه ، فاتى اليه ابو ذر الغفاري ، فلما سمعه بايعه على يده ، واعلن بدعوة الاسلام جهرا قائما في الكعبة ، فاخذ الناس بضرب من النعال والعصى ، ولكن لم يستطيعوا من منعه باظهار هذه الدعوة العظيمة .

❦ دخول الشعب وخبر الصحيفة ❦

ولما رأت قريش عزة النبي صلى الله عليه وسلم بمن معه ، اجمعوا على ان يقتلوا النبي صلعم ، فبلغ ذلك ابا طالب ، فجمع بنى هاشم وبنى اخيه المطلب بن عبدمناف ، وامرهم ان يدخلوا رسول الله صلعم شعبهم ، ويمنعوه من الكفار الذين كانوا يريدون

قتله ، فاجابوه لذلك ، رغم انهم كانوا كافرين ، حمية لقومهم على عادة الجاهلية فلما ، رأت قريش ذلك اجمعوا ، وأثتمروا ان يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطاب ، ان لا ينجحوا اليهم ، ولا ينجحوهم ، ولا يبيعوا منهم شيئا ، ولا يبتاعوا ، ولا يقبوا منهم صاحبا ابدا ، حتى يساموا رسول الله صلعم للقتل ، وكتبوه في صحيفة بخط منصور بن عكرمة او بخط بغيض بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، وعلقوا هذه الصحيفة في جوف الكعبة ، وكان ذلك في المحرم سنة سبع من النبوة ، فانحاز بنو هاشم وبنو المطاب الى ابى طالب ، فدخلوا معه في شعبه الا ابا لهب ، فكان مع قريش ، فاقاموا على ذلك سنتين او ثلاثا ، وكان لا يصل اليهم شئ الا سرا ، ثم قام رجال ، مثل هشام بن عمرو بن الحرث العامري وزهير بن ابى امية ومطعم بن عدى وابى البختری بن هشام وزمعة بن الاسود ، وقضوا باخراج الصحيفة وتمزيقها وابطالها ، وقد اخبر النبى صلعم بان الارضة اكلت جميع ما فيها من القطيعة والظلم ، فوجدوها كذلك ، وكان ذلك في السنة العاشرة من النبوة .

﴿ هجرة النبى الى المدينة ﴾

وفي هذه الاثناء توفيت خديجة زوجته ، وتوفي عمه ابوطالب في السنة العاشرة من النبوة ، فعظمت المصيبة على النبى صلعم واتباعه ، ولكن لم يضعف كل ذلك همته ، فخرج الى الطائف ، رجاء ان يقبل اهله الاسلام ، وكان معه زيد بن حارثة مولاه ،

فاقام بها شهرا ، يدعو اشراف ثقيف ، فلم يجيبوه ، واغروا به سفهاءهم وعبيدهم ، يسبونوه ، ويرموناه بالحجارة ، ولقي منهم اشد ما كان يلقى من اهل مكة ، فعرض نفسه على مسعود ابن عبدالمطلب ابن عبد كلال ، وكان ابن عبدالمطلب من اكابر اهل الطائف من الثقيف ، فلم يجبه الى ما اراد ، فرجع الى مكة حزينا كئيبا ، وعرض نفسه على العرب في مواسم الحج ، فكلما اتى الى قبيلة يدعوهم الى الاسلام ، تبعه عمه ابو لوط ، وقال لهم « يا بني فلان انما يدعوكم هذا الى ان تستحاوا اللات والعزى من اعناقكم الى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تسمعوا له ولا تطيعوه » وما زال النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على كل قادم للحج يسمع انه ذو شرف ونسب ، حتى بايعه ستة نفر من اهل يثرب من الخزرج في العقبة الاولى ، وهم ابو امامة اسعد بن زرارة وعوف بن الحرث بن رفاعه ورافع بن مالك بن العجلان وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن ناي وجابر بن عبدالله بن رباب ، فكانوا سببا في انتشار الاسلام ، وفي السنة التالية في العقبة الثانية بايعه اثنا عشر رجلا من الاوس والخزرج من قبيلتي يثرب ، ومنهم عبادة بن الصامت الخزرجي وابو الهيثم بن التيهان الاوسي وغيرهما ، فارسل النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير الى يثرب ليكني يدعو الناس الى هذا الدين الحنيف ، فاسلم سعد بن معاذ واسيد بن حضير من الاوس علي يده ، واسلم باسلامهما جميع بني عبد الاشهل في يوم واحد ،

ولم يبق منهم احد الا اسلم ، ثم قدم على النبي صاعم في العقبة الثالثة في العام القابل سبعون رجلا وبايعوه على يده ، فهاجر المسلمون واحدا بعد واحد الى المدينة ، وبقي النبي صلى الله عليه وسلم في مكة ومعه ابوبكر الصديق وعلى وغيرهما ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينتظر حكم الله للخروج من مكة ، فلما اتفق اشراف قريش على قتله ، وحاصروا بيته ، خرج من بيته بعد ما امر عليا ان يتخذ مكانه ، ويرد الامانات الى اهلها ، واخذ ابوبكر الصديق رضى الله عنه في طريقه الى غار ثور ، واختفيا فيه ، ف تبعه المشركون الى مدخل هذا الغار ، ولكن لم يدخلوا فيه ، وظنوا انه سار الى مكان آخر بعيد عنهم ، فرجعوا عنه ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر الصديق ، وقطعا الطريق الى يثرب بارشاد دليل معهما ، حتى وصلا اليها ، وكان خبر مسيره من مكة قد انتشر في انحاء البلاد ، فكان الناس من اهل يثرب ينتظرون وروده في هذه المدينة كل يوم ، فلما رأوا مطيبتهم من بعيد غنت الجوارى على الدفوف قائلة :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

فاستقبل الناس النبي صلعم وصاحبه بعز و وقار ، ونزل

النبي صلى الله عليه وسلم في بيت ابي ايوب الانصارى رضى الله

تعالى عنه ، فلما بني المسجد انتقل الى حجرات في جانب هذا

المسجد مع زوجته سودة بنت زمعة وعائشة رضى الله عنهما التي بنى بها في العام الثانى من هجرته الى يثرب .

سميت يثرب بمدينة النبى ، وصارت مدينة منورة بسبب ورود النبى صلى الله وسلم فيها ، حتى ان الناس نسوا اسمها الاصلى ، وغلب عليها الاسم المعروف بالمدينة المنورة ، فبدا النبى صلى الله عليه وسلم يرتب الامور للاتحاد والتوافق بين المسلمين واليهود ، وصالحهم على ان يناصروه واتباعه من المسلمين ان هجم المشركون على هذه المدينة .

غزوة بدر

فلما سمع النبى صلى الله عليه وسلم استعداد المشركين لمهاجمة المدينة المنورة ، ارسل سرىات عديدة لكشف اخبار قريش في نواحي الحجاز ، فضى عبدالله بن جحش في ثمانية من المهاجرين ، ونزل بنحلة بين مكة والطائف ، فرأى عير قريش تحمل زيبيا ، فهجم عليها ، واستولى على ما فيها ، فنضبت قريش ، وآلى ابوسفيان بن حرب ، قائدهم على ان لايشتنى ولايستكن صدره الا بعد ان ينتقم من النبى واتباعه ، فاخذ اليهود والمواثيق من اشراف قريش على ان يصرفوا ارباح تجارتهم لاعداد الحرب وآلاتها ضد المسلمين ، فسار ابوسفيان الى الشام ، واشترى اشياء كثيرة للتجارة بقصد صرف ارباحها في الحرب مع المسلمين ، فلما علم النبى صلى الله عليه وسلم برجوعه من الشام ، خرج مع جماعة من اتباعه من المدينة المنورة ، لكي يتعرض لهذه القافلة ،

ويمنعها من الحصول على فائدة وربح في التجارة، ولا يكتفوا باختار طريقاً آخر إلى مكة، وجاء منها أبو جهل وأشراف قريش مع تسعمائة وخمسين رجلاً، يقصدون محاربة المسلمين وإبادتهم عن سطح هذه الأرض، وكان المسلمون ثمانية عشر وثلاثمائة رجل، فالتقوا في بدر على بعد ستين ميلاً من المدينة المنورة. وابتدأ القتال بالمبارزة، فبارز حمزة بن عبد المطلب شعبة بن ربيعة، وبارز عبيدة بن الحرث بن المطلب عتبة بن ربيعة، وبارز علي بن أبي طالب وليد بن عتبة، فقتل الوليد وأبوه عتبة وعمه شعبة وكذلك قتل أبو جهل، قتله معاذ ومعوذ أناءعراء من الأنصار، وقتل من أشراف قريش سبعون رجلاً مثل أمية بن خلف و ابنه علي، والعاصي بن هشام أخى أبي جهل، وأبى قيس بن الوليد أخى خالد بن الوليد، وأسر منهم سبعون رجلاً، منهم عتبة بن أبي معيط، قتله علي بن أبي طالب بأمر الرسول، ونضر بن الحرث بن عاقمة بن كلفة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، وقتل من المسلمين أربعة عشر رجلاً منهم عبيدة بن الحرث بن المطلب وعمر بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص، وفر الباقيون من قريش تاركين أمتعتهم وبضائعهم، التي استولى عليها المسلمون، فأنكسرت شوكة قريش، وقلت هيبتهم في قلوب المسلمين، فطرح النبي صلى الله عليه وسلم جثث قتلى الكفار في قليب، ودفن موتى المسلمين ورجع مع أتباعه إلى المدينة المنورة، ودخلها قبل أسارى قريش بيوم، فلما قدموا فرقتهم بين أصحابه وقال استوصوا بهم خيراً.

وكان في اسارى بدر ابو العاص بن الربيع بن عبدالعزى بن عبد شمس زوج زينب بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، فبعثت زينب من مكة بقلادة لها التي كانت خديجة ادخلتها بها عليه ، فلما رآها صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة ، وقال : ان رأيتم ان تطلقوا لها اسيرها وتردوا عليها قلاذتها فافعلوا ، قالوا : نعم يا رسول الله ، فاطلقوه وردوا عليها القلاذة .

ولما قدم ابوسفينان بن الحرث بن عبد المطلب مكة سأله ابولهب عن خبر قريش ، قال : والله ما هو الا ان لقينا القوم ، منحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا ، وباسروننا كيف شاؤا ، وايم الله مع ذلك لقينا رجالا بيضا على خيل ، والله لايقوم لها شئى ، يشير بذلك الى جنود الملائكة التي ارسلها الله لاعانة المسلمين في بدر ، وكان ابو رافع مولى العباس بن عبد المطلب موجودا في ذلك المجلس ، فقال : والله هي لتلك الملائكة ، فرفع ابولهب يده ، فضربه في وجهه ضربة شديدة ، فقامت ام الفضل لبابة بنت الحرث بن حزن الهلالية زوج العباس بن عبد المطلب الى عمود من عمد الخيمة عند بئر زمزم ، فضربت به رأس ابى لهب ، وقالت : استضعفته ان غاب عنه سيده ، قال ابو رافع : فوالله ما عاتى ابولهب بعده الا سبع ليال ، حتى رماه الله بالعدسة ، وهى قرحة كانت العرب تتشام بها ، فنباعد عنه بنوه حتى قتله الله ، وبقى بعد موته ثلاثا لايقرب احد جنازته ولايحاول احد دفن جثته ، فلما خاف ابناءه عليهم السب والعار في ترك جثة

إيهم حفروا له ثم دفعوه بعود في حفرة وواروه بالتراب والحجارة من بعيد.

قتل كعب اليهودي

وكان كعب بن الأشرف اليهودي شاعرا مجيدا ومخالفا للنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، فلما رأى ما أصابت قريشا من الكارثة الكبرى بدأ يهجو رسول الله صلعم ويحرض عليه كنفار قريش ، وقد كان عاهد النبي صلى الله عليه وسلم ان لايعين عليه احدا ، فذهب كعب بن الأشرف الى مكة ونزل على المطلب بن ابي وداعة السهمي ، وعنده زوجته عاتكة بنت اسيد بن ابي العيص ، فانزلته واكرمته ، فجعل يحرض على النبي وينشد الاشعار ، فبلغه ذلك ، فدعا حسان بن ثابت ، فهجا المطلب وزوجته ، واسلما بعد رضى الله عنهما ، فلما بلغ ذلك عاتكة اقلت رحله وقالت : مالنا ولهذا اليهودي ، فخرج من عندها ، وصار يتحول من قوم الى قوم ، فيفعل مثل ما فعل عند عاتكة ويبلغ خبره النبي صلى الله عليه وسلم ، فيذكره لحسان ، فيهجوه ، فيفعلون معه كما فعلت عاتكة ، ثم رجع كعب الى المدينة ، فشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم ، فلما لم يمتنع من اذى النبي والمسلمين خرج محمد بن مسلمة وابونايلة سلكا بن سلامة وعباد بن بشر وابوعبس بن جبر في ليلة واخذوه وقتلوه ، واجتمع اليهود ، واخذوا على غير طريق الصحابة فقاتوهم ، فلما راوه قتيلا طريحا اخذ في قلوبهم الرعب ولم يتمكنوا من اظهار العداوة والبغضاء للمسلمين جهرا .

غزوة احد

ولما سمع ابوسفیان بهذه الكارثة فى غزوة بدر عزم على ان يهاجم المدينة المنورة نفسها ، فجمع صناديد قريش وقال : يا محشر قريش ان محمدا قد وتركم وظلمكم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه ، يعنى به عير ابى سفيان الذى اتى به من الشام ، فاجابوا لذلك ، فاتى ابوسفیان فى شوال سنة ثلاث من الهجرة مع جيش كبير يقوده رجل مثل خالد بن الوليد ، وكان خالد بن الوليد غاضبا على النبى والمسلمين لانهم قد قتلوا اخاه اباقيس بن الوليد فى غزوة بدر ، فخرج النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة وصف صفوفه فى وادى جبل احد ، ورجع عنه عبد الله بن ابى بن سلول رأس المنافقين فى ثلاثمائة من اتباعه وامر النبى صلى الله عليه وسلم خمسين راميا من اتباعه بان يحفظوا الطريق من فوق الجبل ولا يتحركوا منها مهما كانت نتيجة الحرب ، فهاجم المسلمون الكفار بحماس شديد حتى انهزم جيش قريش ، وفروا من ميدان القتال ، فنزل الرماة من اعلى الجبل ، واشتركوا فى جمع الغنائم ، فرأى خالد بن الوليد من بعيد الطريق خاليا من الرماة ، فادار جيشه ، وحمل على المسلمين من وراء الجبل ، فتشتت جموع المسلمين ، ولم يقدرُوا على التمييز بين المشركين والكافرين ، فقتل من كلا الفريقين كثير من الرجال والنساء ، وتوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتمس اصحابه ، فاستقبله المشركون ، فرموا وجهه ، فادموه ، وكسروا رباعيته ، والذى جرح

وجهه الشريف هو عبد الله بن شهاب او عمرو بن قمئة ، وكسر رباعيته عتبة بن ابى وقاص اخو سعد بن ابى وقاص ، لانه رماه باربعة احجار ، فكسر حجر منها رباعيته ، ولذلك قال حسان بن ثابت فى عتبة بن ابى وقاص :

اذا الله جازى معشرا بفعالهم ونصرهم الرحمن رب المشارق
فاخزاك ربى يا عتيب بن مالك ولقاك قبل الموت احدى الصواعق
بسطت يميننا للنبي محمدا فادميت فاه قطعت بالبوراق
فهلا ذكرت الله والمنزل الذى تصير اليه عند احدى البوائق

ووقع النبى صلى الله عليه وسلم فى حفرة وكان اول من عرف رسول الله صلعم كعب بن مالك ، فتادى باعلى صوته ، يامعشر المسلمين هذا رسول الله ، فلما سمعوا ذلك اقبلوا عليه من كل طرف ، ودخلت حلقتان من المغفر فى وجته ، فاخذ على يده واحتضنه طلحة بن عبد الله حتى استوى قائما ، وتقدم ابو عبيدة بن الجراح وانتزع الحلقة من المغفر من وجهه الشريف وغسل على وزوجته فاطمة الدم عن وجه النبى صلى الله عليه وسلم واخذت فاطمة شيئا من حصير واحرقه بالنار ثم كمدته به حتى لصق بالجروح فدفن صلى الله عليه وسلم قتلى المسلمين وفيهم حمزة بن عبد المطالب ورجع الى المدينة .

غزوة الاحزاب

تبع غزوة احد غزوات اخرى ، مثل غزوة حراء الاسد ، وغزوة الرجيع ، وغزوة بشر معوثة ، وغزوة ذات الرقاع ، وغزوة

بدر الاخيرة ، وغزوة دومة الجندل ، وغزوة المريسيع ، فلما رأى ابوسفيان واشراف قريش ازدياد شوكة المسلمين يوما فيوما اثاروا الاحقاد والضغائن ضد المسلمين بين طوائف من قبائل العرب ، وشوشوا قلوبهم ضد النبي واتباعه ، واجتمعت كلمتهم على ان تتحد جميع القبائل من العرب وتهاجم المسلمين ، فخرجت قريش في اربعة آلاف ، وقائدها ابوسفيان بن حرب ، وخرجت غطفان ومن تبعهم من اهل نجد وقائدها عيينة بن حصن بن بدر النزارى ، وكادوا الفا ، والحارث بن عوف المرمى فى بنى مرة وكانوا اربعمائة .

فلما علم بذلك النبي صلعم حفر خندقا حول المدينة بإشارة من سلمان الفارسى واعد المسلمين للقتال ، وتسمى هذه الغزوة بغزوة الاحزاب ، فحاصرت جيوش قريش وحلفائها من طوائف العرب المدينة ، وقد اعياهم الخندق ولم يتمكنوا من عبوره .

وخرج حبي بن اخطب رأس بنى النضير من اليهود حتى اتى كعب بن اسد القرظى ، صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم ، وكان وادع وصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاقده ، فاعاق كعب دونه باب حصنه وابى ان يفتح له ، وقال ويحك يا حبيى انك امرؤ مشؤم ، والى قد عاهدت محمدا ، فلست بتاقض ما بينى وبينه ، فانى لم ارمه الا وفاء وصدقا ، فقال : ويحك افتح لى . ولم يزل به حتى فتح له ، فقال : ويلك يا كعب جئت بك بعز الدهر ، جئت بك بقريش حتى انزلتهم بمجمع الاسيال ، ومن دونه

غطفان ، وقد عاهدوني على ان لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه ، ولم يزل به حتى نقض عهده وبرى لما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما انتهى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن معاذ وسعد بن عباد وغيرهما ليعرفوا الخبر ، فوجدوهم على اخبث ما بلغه عنهم ، فعظم عند ذلك البلاء ، واشتد الخوف حتى ظن المؤمنون بالله الظنونا ، كما يذكر الله تعالى هذه الواقعة في القرآن ويقول : اذ جاءكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا (احزاب ١٠-١١) .

واراد صلى الله عليه وسلم ان يعطى عيينة بن حصن ومن معه ثلث ثمار المدينة على ان يرجعوا ، فمنعه سعد بن معاذ وسعد بن عباد وقالوا والله لانعطيهم الا السيف .

وحاصرت قریش ومن معهم المسلمين بضعة وعشرين يوما ، ولم يكن بينهم قتال الا مراعاة بالنبل والحجارة ، ثم اختلفت كلمة قریش واليهود ، فارسل ابوسفیان عكرمة في نفر الى بنى قريظة ، وقالوا لهم انالسنا بدار مقام ، وقد هلك الخف والحافر ، فاعدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه ، فارسلوا اليهم ان اليوم ان اليوم السبب لانعمل فيه شيئا ، وكان قد احدث فيه بعضنا حدثا فاصابه مالم يخف عليكم ، ولسنا مع ذلك بمقاتلين معكم حتى تعطونا رهنا . من رجالكم يكونون بايدينا ثقة لنا حتى

فناجز محمدا ، فانا نخشى ان اشتد عليكم القتال ان ترجعوا الى بلادكم وتتركونا ، والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا به ، فقالت قريش وغطفان والله لاندفع اليكم رجلا واحدا ، فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ، فقالت قريظة : والله لانقاتل معكم حتى تعطونا رهنا ، فابوا عليهم ، وخذل الله بينهم وبعث الله عليهم الريح في ليال شديدة البرد ، فأكفأت قدورهم وطرحت ابنتهم فعادوا خاسرين وخائبين ، فكانت هذه الغزوة في السنة الخامسة من الهجرة .

غزوة بنى قريظة

فلما نكشت قريظة عهدا مع النبي صلعم بتحريض حيي بن اخطب راس بنى النضير خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جيش من المسلمين وحاصر بنى قريظة في حصنهم بضعة عشر يوما ، ولما اشتد الحصار ببني قريظة اذعنوا وخضعوا ورضوا ان ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختاروا سعد بن معاذ ان يكون حكما في امرهم لانه كان حليفهم ، وكان سعد قد اصاب في اكحله يوم الخندق ، فجئ به على حمار ، فقال سعد : اني احكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبي الذراري والنساء ، فضربت اعناق الرجال ، وكانوا ما بين ستمائة الى سبعمائة ، وسبيت الذراري والنساء وصودرت املاكهم ، فراغت قلوب اليهود جميعا ، ولم يستطيعوا من بعد ذلك ان يرفعوا لواهم ضد النبي واتباعه ، او يعاونوا قريشا واحلافهم .

ثم غزا النبي صلى الله عليه وسلم بنى لحيان بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر في ربيع الاول سنة ست من الهجرة ، فاطاعوه ثم غزا الناس الذين اغاروا على المدينة في ذى قرد واخضعهم .

صلح الحديبية

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة قاصدا للعمرة بسبب رؤيا رآها في المنام انه دخل البيت هو واصحابه آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين ، فصار حتى وصل الحديبية على تسعة اميال من مكة ، فاتاه رجل وقال ان قريشا قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش ، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك من الدخول الى مكة ، فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ، فقال ابوبكر يا رسول الله خرجت عامدا لهذا البيت ، لا تريد قتل احد ولا حرب احد ، فتوجه للبيت ، فن صدنا عنه قائلناه ، فبينما هم كذلك اذ جاء اليه بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لم نجق لقنال احد ، وليكما جيشا معتمرين ، وان قريشا قد نهكتهم الحرب ، واضرت بهم ، فان شاءوا جعلت بيني وبينهم مدة نترك الحرب بينهما وبينهم ، فقال بديل : سابلغهم ما تقول ، فانطلق حتى اتى قريشا وابلغهم الخبر ، فلم يتفقوا معه في الصلح ، فقام عروة بن مسعود بن معتب وقال انا ساذهب اليه واكلم ، معه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما قال لبديل ،

وكان المغيرة بن شعبه بن مسعود الثقفي ابن اخى عروة قائما على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر ، فكلما اهوى عروة بيده الى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ملاطفة له ضرب المغيرة يد عروة بنعل السيف ، فرفع عروة رأسه وقال من هذا ؟ فقالوا : المغيرة ابن اخيك ، فقال اى غدر بعد غدرتك ، قد اورثتنا العداوة فى بنى ثقيف ، وكان المغيرة صاحب قوما فى الجاهلية فقتلهم واخذ اموالهم ثم لحق المدينة واسلم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، اما الاسلام فاقبل واما المال فلست منه فى شئى ، وما رأى عروة اجلال المسلمين للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه على هذا النمط ، رجع الى فريس وقال : والله ما رأيت ملكا قط تعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد ومحمد . وانه قد عرض عليكم حطة رشد فاقبلوها ، فقال رجل من بنى كنانة واسمه الحليس ، دعونى اذا آتته ، فقالوا آتته ، فلما اشرف على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان ، وهو من قوم يعظمون البدن . فاعوها واوروها ، فاستقبله الناس يلبنون بالحمرة . فلما رأى ثمانى ذلك قال تعجبا ، سبحان الله ما ينبغي له لاء ان يصدوا عن البيت ، فلما رجع الى اصحابه قال : رأيت بسن قد قلدت واشعرت ، فما ارى ان يصدوا عن البيت ، فقام رجل منهم ، يقال له مكرز بن حنص ، فقال دعونى آتته ، فلما اشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو

رجل فاجر ، فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم ، فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو القرشي العامري خطيب قريش ، فلما راه النبي صلى الله عليه وسلم قال قد سهل الله لكم من امركم ، فلما انتهى اليه طال الكلام بينهما ، واتفقا على ان يوضع الحرب بينهما عشر سنين ، فقال سهيل : هات واكتب بيننا وبينكم كتابا ، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب وقال له اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل اما الرحمن فوالله ما ادرى ما هو ، اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اكب باسمك اللهم ، ثم قال هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله اهل مكة ، فقال سهيل : والله لو كنا نعلم انك رسول الله ، ما صددناك عن الست ولاقاتلناك ، ولكن اكتب محمد بن عبدالله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : والله اني رسول الله وان كذبتهموني ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فقال ما اذا بالذي احماه ، فقال ارني مكانها ، فاراه مكانها ، فجاهده وكتب ابن عبدالله ، ثم قال : وعلى ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به ، فقال سهيل : والله لا نخلى بينك وبين البيت ، ولكن ذلك من العام المقبل ، اني لا اتحدث العرب باذا اخذنا ضغطة ، فقال سهيل : وعلى انه لا ياتك منا رجل ، وان كان على دينك الا رددته اليها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نعم اكتب ، فقال المسلمون : سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما ، فبينما هم كذلك اذ دخل ابو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده ، وقد

خرج من اسفل مكة، حتى رمى بنفسه بين اظهري المسلمين، فقال سهيل، هذا يا محمد اول ما افاضيك، عليك ان ترده الى، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: انا لم نقض الكتاب بعد، قال فوالله اذا لا اصالحك على شئ ابدا، قال النبي صلعم: فاجزه لي، قال ما انا بمجيزلك. قال ابو جندل: اى معشر المسلمين ارد الى المشركين وقد جئت مسلما، الا ترون ما قد لقيت، فقال رسول الله صلعم: يا ابا جندل اصبر واحتسب، فانا لا نغدر وان الله جاعل لك فرجا ومخرجا، فقال عمر بن الخطاب: فاتيت النبي صلعم فقلت الست نبي الله حقا. قال: بلى، قلت: السنا على الحق وعدونا على الباطل، قال: بلى، قلت فلم نعط الدنية في ديننا اذا؟ قال: انى رسول الله ولست اعصيه وهو ناصرى، قلت اولست كنت تحدثنا اذا سناتى البيت فتطوف به، قال: بلى، افاخبرت ان اتيه هذا العام، قلت: لا، قال: فانك آتية ومطوف به.

ولما نزل صلى الله عليه وسلم الحديدية احب ان يبعث الى قرش يعلمهم انه انما قدم معتمرا، فبعث خراش بن امية الخزاعى على جملة عليه السلام، فعقره عكرمة بن ابى جهل، وارادوا قتله، فمنعه الاحابيش، فاتاه صلى الله عليه وسلم واخبره، فدعا عمر، فاعتذر بانه يخافهم على نفسه لما عرفوا من عداوته وغلظته عليهم، ولا عشيرة له بمكة، ودله على عثمان لعزته عليهم وعشيرته، فدعاه وكتب كتابا، بعثه مع عثمان بن عفان، فتوجه عثمان، فوجد قريشا بيلدح قد اتفقوا على منعهم من مكة،

فاجاره ابان بن سعيد بن العاصى وحمله على فرسه ، وركب هو وراه وقال اه شعرا :

اقبل وادبر ولا تخف احد بنو سعيد اعزة الحرم

فانطلق حتى اتى ابا سفيان وعظماة قريش ، فبلغهم رسالة النبى صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم الكتاب واحدا واحدا ، فما اجابوا . وصمموا ان لا يدخلها هذا العام ، فاحتبسته قريش عندها ، فبلغ النبى صلعم ان عثمان قد قتل ، فدعا الناس الى بيعه الرضوان تحت الشجرة على الموت ، ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا وبعثوا عثمان وجماعة من المسلمين ، وحلق الناس مع النبى صلى الله عليه وسلم ونحروا هداياهم بالحديبية . واقام صلعم بالحديبية بضعة عشر يوما ، ثم قفل الى المدينة ، وفى نفوس المسلمين شئى ، فانزل الله تعالى سورة الفتح . فتباشر بعضهم بعضا ، وفرحوا بهذا الفتح العظيم .

غزوة خيبر

وفى رمضان من السنة السادسة من الهجرة غزا النبى صلى الله عليه وسلم يهود خيبر على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام ، وحاصر مدينة خيبر لبضعة عشر يوما ، فخرج مرحب من حصنه وبارز المسلمين يرتجز :

قد علمت خيبر انى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب
اذا الحروب اقبلت تلهب

فبرز له على وهو يقول :

انا الذى سمتنى امى حيدرہ کلیث غابات كریہ المنظرہ

اکیلهم بالسيف کیل السندرہ

وضرب على مرحيا ففلق رأسه وقتله ، وقلع على باب
خير والقاء على الارض ، ونهى رسول الله صلعم عن اكل لحوم
الحمر الاهلية فى هذه الغزوة ، وفيها سمت النبى صلى الله عليه
وسلم زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم فى شاة اهدت
لحمها للنبى صلعم واصحابه مطبوخا ، فامتنع النبى صلعم من اكله ،
بعد ان لآك منه مضغة ومنع اصحابه عن اكله ، ثم قال للبيد ،
ما حملكم على ذلك ، قالوا : اردنا ان كنت كذابا ان نستريح
منك وان كنت نبيا لم يضرك فمات من هذا السم بشر بن البراء
احد اصحابه ، فاقتص منها النبى صلعم له ولم يقتص لنفسه
وصالح النبى يهود خير وضرب عليهم الاتاوة ، فكانوا هناك
حتى احرحهم ونفاهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى رمن
خلافته .

غزوة مودة

وفى السنة الثامنة من الهجرة جهز النبى صلى الله عليه وسلم
جيشا تحت قيادة زيد بن حارثة مولاه وارسله للمحاربة مع
البيزنطيين وحلفائهم الغساسنة الذين قتلوا الحرث بن عمير الازدى
رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملك بصرى ، فالتقى
الفريقان فى مودة موضع جنوبى شرقى بحر لوط ، فقتل زيد بن

حارثة ، فاخذ اللواء جعفر بن ابي طالب ، فنزل عن فرس له شقراء وقاتل حتى قتل ، ثم اخذ اللواء عبدالله بن رواحة ، فقاتل حتى قتل ، فاخذ اللواء ثابت بن اقرم العجلاني الى ان اصطالح الناس على خالد بن الوليد ، فاخذ اللواء في يده وانجاهم من هذه المهلكة .

غزوة الفتح

وفي رمضان من السنة الثامنة سار النبي صلى الله عليه وسلم في اصحابه قاصدا مكة لنقض قريش العهد الذي وقع بالحديبية ، وبلغ عدد المسلمين عشرة آلاف مجاهد ، فسمع ابوسفيان خبر قدوم هذا الجيش ، فخرج ومعه حكيم بن حزام وبريل بن ورقاء الخزاعي ليتجسسوا ، فلقىهم العباس بن عبد المطلب ، فقال له ابوسفيان ماوراءك ؟ ، فقال له : هذا رسول الله اتاكم في عشرة آلاف ، فقال له ما الراى الآن ، فنصحه العباس ان يذهب الى النبي ويستأمن ، فلم يجد افضل من هذا الراى ، لان قريشا قد عجزت عن مقاومته ، فاسلم ابوسفيان بن حرب ، فجعلت القبائل تمر سع النبي صلعم كتيبة كتيبة على ابي صفيان ، فمرت كتيبة غفار ثم مرت جهينة ، حتى اقبلت كتيبة لم ير مثلها ، قال من هذه ؟ قال هؤلاء الانصار ، وعليهم سعد بن عبادة معه الراية ، فقال سعد بن عبادة ، يا اباسفيان اليوم يوم الملاحمة ، فلما مرت كتيبة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ذكر ابوسفيان للنبي صلى الله عليه وسلم ما قال سعد بن عبادة ، فاجاب يا اباسفيان اليوم يوم

المرحمة، ثم ارسل الى سعد فاخذ الراية منه، فدفعها الى ابنه قيس، فدخل الجيش في مكة، والناس مغلقون ابواب بيوتهم، وبعضهم خرجوا من مكة الى شعب الجبال خوفا من المسلمين، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم اعلن بالسلام والامن للذين لم يتعرضوا لدخول المسلمين في الكعبة. ونادى مناد بان من دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار ابني سفيان فهو آمن، ومن اغلق عليه بابه فهو آمن، وقال مخاطبا لاهل مكة: ماذا تظنون اني فاعل بكم؟، قالوا خيرا، اخ كريم وابن اخ كريم، قال: اذهبوا فانتم الطلقاء.

ثم قصد النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة وطاف بها سبعا، وكان حول البيت ثلثمائة وستون صنما، فكلما مر بصنم اشار اليه بقضيبه وهو يقول جاء الحق وزهق الباطل، ان الباطل كان زهوقا، ثم امر بازالة جميع الصور التي كانت معلقة في الكعبة، ومن ذلك الحين تحولت الكعبة من بيت اصنام الى بيت الله، يتوجه اليه المسلمون في صلاتهم خمس مرات في كل يوم وليلة ويحجون اليه من جميع اقطار الارض في وقت معين كل سنة.

وبعد ان استتب الامر له صلى الله عليه وسلم ارسل خالد بن الوليد و عمرو بن العاص وسعد بن زيد الاشهلي لهدم الآلهة الثلاثة من العزى وسواع ومناة التي كانت تعبد في نواح مكة، فهدموها.

العرب وآدابهم

غزوة حنين

ثم غزا النبي واصحابه الكفار من بنى هوازن في وادي حنين بين مكة والطائف وسبب ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ من فتح مكة وتمييدها، واسلم عامة اهلها، مشيت اشراف هوازن وثقيف بعضهم الى بعض، وحشدوا وقصدوا محاربة المسلمين. وكان رئيسهم مالك بن عوف، وسار النبي صلى الله عليه وسلم في اثني عشر الفا من المسلمين، عشرة آلاف من اهل المدينة، والافان ممن اسلم من اهل مكة، وكان المسلمون معجبين بكثرتهم، وظن المسلمون ان الكفار لا يستطيعون ان يقاوموهم في ذلك اليوم، فلما كر عليهم الكفار بالستهم ورماحهم ولى المسلمون مدبرين، ثم عادوا واقتتلوا قتالا شديدا حتى نصرهم الله، وهذه الواقعة مذكورة في القرآن باندع اسلوب: «ولقد نصركم الله في موطن كثيرة، ويوم حنين اذ اعجبكتم كثيرتكم، فلم تغن عنكم شيئا، وضائق عليكم الارض بما رحبت، ثم وايتم مدبرين، ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين، وانزل جمودا لم تروها، وعدد الدار كمروا، وذلك جزاء الكافرين»، وعنهم المسلمون في هذه المعركة كثيرة جرائم اربت على ٢٤ الف جمل ماعدا الاسياف والاسلحة الكثيرة.

رسائله الى الملوك

وفي السنة التاسعة من الهجرة كاتب النبي صلى الله عليه وسلم الملوك يدعوهم الى الاسلام، فبعث الى النجاشي ملك الحبشة عمر بن امية الضمرى بكتاب، فقبله، وكذلك ارسل

حاطب بن ابى بلتعجة بكتاب الى المقوقس عامل الروم على مصر ، وقال فيه : « من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى . اما بعد : فاني ادعوك بدعاية الاسلام فاسلم تسلم يوتك الله اجرک مرتين ، فان توليت فان عليك اثم اليريسيين ، يا اهل الکتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا ينجذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » ،

فاكرم المقوقس وفادته وردء بهديه الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فيها مارية القبطية التى ولدت ابراهيم وارسل رحيه بن خلمه الكلبى بكتاب الى هرقل قيصر الروم ، فآكرمه واستشار اسافته فى امره ، فكاد ان يقبل دعوته ، فغضب عليه اتابعه من المسيحيين ، وحاف منهم وامتنع عن قبول دعوته . وحدينه مع ابى سفيان عن احوال النبى صلى الله عليه وسلم . روف ومذكور فى كتب الحديث .

وارسل عبد الله بن حذافه القرشى السهمى بكتاب الى كسرى پرويز ملك اليرس ، فاستشاط من الغيظ لانه بدأ الكتاب باسمه قبل ان ياتى باسم كسرى ، فمزفه . فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم مزفه كما مرق الكتاب فانقرضت دولته وزال حكمه فى ايام ، فاستولى المسلمون على ايران كلها فى زمان خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كما سيأتى :

وبعث العلاء بن الحضرمى الى المنذر بن ساوى التميمى الدارمى عامل البحرين فصدق به وبعث عمرو بن العاصى الى

جيفر وعبد ابني الجلندي ملكي عمان ، فاجابا وصدقا النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعث سليط بن عمرو العامري الى هوزة بن على صاحب اليمامة ، فكتب الى النبي وقال ما احسن ماتدعو اليه واجمله ، والعرب تهاب مكاني ، فاجعل لي بعض الامر اتبعك فلما قراه النبي صلعم قال : لو سألني سيابة اى قطعة من الارض ما فعلت ، بادوباد ما في يديه ، فلما مات هوزة بن على ظهر مسيلمة الكذاب باليمامة وادعى النبوة ، وكذلك بعث اباهب شجاع بن وهب بن ربيعة الاسدي الى الحرث بن ابى شمر الغساني امير دمشق من جهة قيصر ملك الروم ، فلما دفع اليه الكتاب قرأه ثم رمى به ، وقال من ينتزع مني ملكي اذا سائر اليه ، ولو كان باليمن جئته على الناس ، وكتب الى قيصر يخبره بخبر رسول الرسول صلعم ، فكتب اليه قيصر وامره ان لا يسير اليه ويوافيه بايليام ، فلما رجع الى دمشق اكرم اباهب واعطاه مائة مثقال ذهبا وخلع عليه ، وكتب صلى الله عليه وسلم الى يوحنا بن رؤبة صاحب ايلة على ساحل البحر من بلاد الشام ، فصالح على الجزية ، مقدارها ثلاثمائة دينار كل سنة .

غزوة تبوك

وفي السنة العاشرة جهز النبي صلى الله عليه وسلم جيشا لمقابلة البيزنطيين ، وهذا الجيش معروف بجيش العسرة ، فسار النبي صلى الله عليه وسلم مع اتباعه الى تبوك موضع على الطريق بين المدينة و دمشق ، فلم يبق في المدينة وحواليها الا ثلاثة نفر من المسلمين ، وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية ،

فتخلفوا عن رسول الله ، فرجع رسول الله صلى عليه وسلم الى المدينة ، فجاء المنافقون معذرين ، فتركهم وعاتب الذين تخلفوا عنه من المسلمين ، فبكوا وجزعوا حتى تاب الله عليهم وانزل فيهم قائلاً . « لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار ، الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم ، وعلى الثلاثة الذين خلفوا ، حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت ، وضائق عليهم انفسهم ، وظنوا ان لاملجأ من الله الا اليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ، ان الله هو التواب الرحيم .

عام الوفود

فلما ذاع صيت غزوات النبي وفنوحاته وقوته ووصولته اتته القبائل من هوازن وثقيف وبنى عامر وعبد القيس وبنى حنيفة وطى وكندة والاشعرين ، وهمدان ومزينة ودوس ونصارى نجران وبنى سعد وبنى فزارة وبنى اسد وبنى مرة وخولان ومحارب وصداء وغسان وسلامان وبنى عبس وغامد وازد وبنى المنتفق ونخع وغيرهم من كل جهة وفدا وفدا حتى دخلوا في طاعته ، وقبلوا الاسلام ، فلم يمض زمان عليه ، حتى استنمت جزيرة العرب كلها .

حجة الوداع

وخرج النبي صلى الله عليه مع اصحابه الى اداء فريضة الحج ، وكانوا الوفا من المسلمين معه ، فادى جميع ماسك الحج

وعليهم وخطب خطبة الوداع في ميدان عرسات ، فقال : ان
 دماءكم واموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا
 في بلدكم هذا ، الا ان كل شئ من امر الجاهلية تحت قدمي
 موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ، فان اول دم اضع من دمائنا
 دم ابن ربيعة ابن الحارث ، (وكان مسرّضعا في بني سعد
 فقتلته هذيل) وربا الجاذية موضوع ، واول ربا اضع ربانا ،
 ربا العباس بن عبد المطلب ، فانه موضوع كله ، فاتقوا الله في
 النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة
 الله ، واني اذكركم عليهن ان لا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه ، فان
 فعلن ذلك ، فاضربوهن ضربا غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن
 وكسوتهن بالمعروف ، وقد تركت فيكم ما ان لاتضلوا بعده ان
 اعتصمتم به ، كتاب الله وانتم تسالون عني ، فما انتم قائلون ،
 قالوا : نشهد انك قد بلغت واديت ونصحت ، فقال باصبحة
 السبابة يرفعها الى السماء وينكتها الى الناس ، ويقول اللهم
 اشهد ، ثلاث مرات .

وفات النبي ﷺ صلعم

وعاد النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة ، وجهز
 جيشا تحت قيادة اسامة بن زيد بن حارثة الكلبي رضى الله عنه
 لغزو الروم ، وهى آخر سرية جهزها النبي صلى الله عليه وسلم ،
 واول شئ جهزه ابوبكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، فلما كان يوم
 الاربعاء لست ليال بقين من صفر سنة احدى عشرة ، بدى برسول
 الله صلى الله عليه وسلم وجعه ، فحم وصدع ، فلما اصبح يوم الخميس

عقد لاسامة لواء بيده ، ولم يبق احد من وجوه المهاجرين والانصار الا انتدب ، وفيهم ابوبكر وعمر ، فتكلم قوم ، وقالوا يستعمل هذا الثلام ، فخرج النبي صلعم وقد عصب رأسه ، وعليه قطيفة ، فصعد المنبر وحمد الله واثنى عليه ، ثم قال : اما بعد ، ايها الناس ما مقالة بلغتني منكم في تاميري اسامة ولئن طعنتم في اماره اسامة فقد طعنتم في امارتي اياه من قبله ، وايم الله ان كان للامارة لخليقا ، وان ابنه من بعده لخليق للامارة ، وان كان زيد لمن احب الناس الى ، فاستوصوا به خيرا ، فانه من خياركم ، ثم نزل عن المنبر ودخل بيته ، وذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الاول سنة احدى عشرة ، وجاء المسلمون الذين يخرجون مع اسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويخرجون الى العسكر بالجرف موضع على فرسخ من المدينة ، فدخل اسامة من معسكره . والنبي صلى الله عليه وسلم مغمر لا يتكلم ، فدعا لاسامة فرجع اسامة الى معسكره ثم دخل اسامة يوم الاثنين وودعه ، فعاد الى معسكره ، وامر الناس بالرجيل ، فبينما هو يريد الركوب اذا اتاه رسول ، واخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في معرض موته ، فاقبل هو وعمر وابوعبيدة بن الجراح ، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين زاغت الشمس عند الزوال ، وكانت ذلك لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول من سنة احدى عشرة فكفنه ابوبكر الصديق رضى الله عنه ، ودفنه في بيت عائشة على الجانب الشرقى من مسجده .

زُوجَاتُ النَّبِيِّ ﷺ

تزوج النبي صلى الله عليه وسلم إحدى عشرة امرأة ، ستاً من قريش ، وهن خديجة بنت خويلد ، وسودة بنت زمعة وعائشة بنت ابى بكر الصديق وحفصة بنت عمر بن الخطاب وام حبيبة بنت ابى سفيان وام سلمة بنت ابى امية ، واربع عربيات من غير قريش ، وهن زينب بنت جحش وميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة ام المساكين وجويرية بنت الحارث من بنى المصطلق ، وواحدة غير عربية من بنى اسرائيل ، وهى صخية بنت حبي بن اخطب من بنى النضير ، مات صلى الله عليه وسلم عن تسع ، بقيت جميعهن حياً ، الا خديجة وزينب ام المساكين ، فانهما توفيتا فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم ، ولدت له خديجة زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة ، وولدت له مارية القبطية بنت شمعون - ابراهيم الذى توفى وله سبعون يوماً ، وحمل على سرير صخير ، وصلى عليه النبى صلى الله عليه وسلم ، ودفنه فى البقيع .

(٤)

الادب والشعر في عهد النبي صلعم

﴿القرآن وسنة النبي صلعم﴾

ترك النبي صلى الله عليه وسلم في امته القرآن وسنته ،
وقد قال : ايها الناس لقد تركت فيكم امرين لن تضلوا ما تمسكتم
بهما : كتاب الله وسنة رسوله ، فالقرآن هو كلام الله انزله على
نبيه صلى الله عليه وسلم ، « هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان »
لم ينزل القرآن جملة واحدة ، بل جزء جزء حسب ما اقتضته
الحوادث اليومية ، فمنه ما نزل في مكة ، ومنه ما نزل في المدينة ، فهذا
الكتاب كله مرتب في مائة واربع عشرة سورة ، منها طويلة
مثل سورة البقرة الى سورة التوبة ، ومنها متوسطة مثل السور
من سورة يونس الى سورة الاحزاب ، ومنها قصيرة مثل مابقي
من السور في الثلث الاخير من القرآن ، فاقصر السور في القرآن
هي سورة الكوثر في ثلث آيات قصيرة ، واطولها سورة البقرة
مائتان وست وثمانون آية ، ففيه عقائد واحكام وحكم وعبر وقصص
ومواعظ ومجادلة مع الكفار والمشركين والمنافقين والمنكرين من
اهل الكتاب اى اليهود والنصارى والصائبين ، فالآيات التي
نزلت بمكة اكثرها قصيرة ، ولها اسلوب خاص بديع ، ففيها
نظم متناسق ، وليكنها ليست بشعر ، وقد انكر القرآن بكون
النبي صلى الله عليه وسلم شاعرا ، وقال : « وما علمناه الشعر وما ينبغي

له ان هو الا ذكر وقرآن مبين » ، وقال : والشعراء يتبعهم الغاؤون ،
 الم ترانهم في كل واد يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون ، . .
 وقد ذكر القرآن التوراة والزبور والانجيل ، وقال عن كل منها :
 « ان فيها هدى ونور » ، ولكن هناك فرق بين القرآن وبين هذه
 الكتب المنزلة على موسى ودأود وعيسى على نبينا وعليهم الصراحة
 والسلام ، فان هذه الكتب كلها دونت بعد وفاة موسى واتباعه
 من الرسل والنصحاء والملوك من بنى اسرائيل ، وعيسى وحراريه ،
 فهى ككتب السبر والتاريخ ، اختلط فيها كلام الله مع كلام
 الرسل وغيرهم . حتى انما الآن لا يستطيع ان نميز بين ما هو كلام
 الله وما هو كلام غيره . ولكن القرآن كله كلام الله لم يبدل ولم
 يتغير منه شئ ، فكلام الله يميز عن كلام النبي صلى الله عليه وسلم
 فلذلك يقرأه المسلمون في صلواتهم الخمسة وفى صلوة الجمعة
 والعيدين ، ولا يقرءون كذلك كلام النبي صلى الله عليه وسلم . بل يذكرونه
 للشرح والتفسير والبيان لأيات من القرآن العظيم ، فكلامه واقراله
 وارشادانه صلى الله عليه وسلم مضبوطه فى كتب الحديث التى
 سنذكر عنها فى موضعتها

وقد نذر العرب جميعا بأسارب القرآن وبلاغته ، فالعرب
 فى العهد الجاهلى كانوا اذا اجتمعوا فى ناد او سوق كانوا ينشدون
 الاشعار للتفاخر فيما بينهم ، فبعد ان اسلموا اصبحتوا يتلون
 القرآن ، ويحفظونه ويستشهدون به فى كلامهم واقوالهم وخطبهم
 وكتاباتهم ، ولم يكونوا يميلون الى انشاد الشعر الا ما يدافعون

به عن الاسلام والمسلمين ، ومعروف ان لبيد بن ربيعة العامري ترك الشعر بعد ان اسلم .

كعب بن زهير

وكذلك كعب بن زهير بن ابي سلمى الذي كان من اكثر الشعراء هجوا للنبي صاعم ، واكثفه حينما أسلم مدح النبي بقصيدة عصماء مشهورة مطلعها :

بانت سعاد فقلبي اليوم مقبول متيم اثرها لم يجز مكبول
انشدها للنبي صاعم طابا للامان ، وهو في مجلس حافل
من الصحابة من قریش وغيرهم ، فلما وصل الى قوله :

ان الرسول لسيف يستضاء به مهتد من سيرف الله مسلول
في فتيه من قربت قال فائلمهم بطن مكة لما اسلموا زولوا
زالوا فما زال انكاس ولا كشف عمد اللقاء ولاخور معازيل
اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى الناس ان يسمعوا
شعر كعب ، ولما فرع من انشاده خلع عليه النبي برده ، وهي
التي تداول الخلفاء بها .

لم يقل كعب بعد هذا شعرا ، حتى توفي في سنة ٢٤ في
زمن خلافة عمر بن الخطاب .

حسان بن ثابت

ولم يستمر في انشاد الشعر الا كعب بن مالك الانصاري
الذي تخلف عن تبوك وعبدالله بن رواحة الخزرجي الذي

استشهد في غزوة موته وحسان بن ثابت بن المنذر بن حرام
الخزرجي الانصارى رضى الله عنهم، وقد اشتهر حسان في الجاهلية
بمدح ملوك غسان وملوك الحيرة، ومن مدائحه قوله في جملة
بن الايهم النخاساني :

اولاد جفنة عند قبر ايهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريض عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل
يغشون حتى ما تهر كلابهم لايسالون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة احسابهم شم الانوف من الطراز الاول
فلما اسلم احتص بمدح النبي صلى الله عليه وسلم والدفاع
عنه، فلم يكن رجل حرب، فاخذ يناصر المهاجرين والانصار
بلسانه، ويدافع عن اعراض المسلمين، فقد كان يهجو النبي صاعم
ثلاثة من قريش هم عبدالله بن الزبيري وابوسفيان بن الحارث
بن عبدالمطلب والاسود بن المطلب فقال حسان بن ثابت : انا
انصر رسول الله بلساني، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كيف
تهجوهم وانا منهم، فقال : انى اسلك منهم كما تسلك الشعرة من
العجين، فكان اشداهم على قريش اذ كان يهجوهم هجوا بالنا يعيرهم
المثالب.

وروى ابوداؤد عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يصنع لحسان المنبر في المسجد يقوم عليه قائما، يهجو
الذين كانوا يهجونه صلى الله عليه وسلم، فقال صلى الله عليه وسلم
ان روح القدس مع حسان ما دام ينافح عن رسول الله.

عاش حسان ستين سنة في الجاهلية ، وستين في الاسلام
و توفي في سنة اربع وخمسين في ايام خلافة معاوية رضي الله عنه ،
فلما جاء الافرع بن حابس مع افراد من قبيلته من تميم الى
النبي صلى الله عليه وسلم وافترخ وقال :

اتيناك كي مايعرف الناس فضلنا اذا خلفونا عند ذكر المكارم
وانا رؤوس الناس في كل معشر وان لس في ارض الحجاز كدارم
وانا نذود العلين اذا انتحوا ونضرب رأس الاصيد المتناقم
وانا لنا المربع في كل غارة نغير بنجد او بارض الاعاجم
فامر النبي صلى الله عليه وسلم حسانا يجيبهم ، فقام فقال :

هل المجد الاالسود والعود والندی وجاه الملوك واحتمال العظام
نصرنا وآوينا النبي محمدا على انف راض من معد وراغم
زكي حريد اصله وثارؤه بجاية الجولان وسط الاعاجم
نصرناه لما حل وسط ديارنا باسياقنا من كل باغ وظالم
جعلنا بنيينا دونه وبناتنا وطبنا له نفسا بفي الخنائم
وتجن ضربنا الناس حتى تتابعوا على دينه بالمرهقات الصوارم
ونحن ولدنا في قريش عظمها ولدنا بنبي الخير من آل هاشم
نبي دارم لما انتحروا الى نحرهم نعوذ من الاعداء عند ذكر الحارم
هبطتم علينا تفجرون وانتم لنا حول مسير في وخام
فان كنتم جثم لحقن دماءكم انتم حول مسير في وخام
فلا تجعلوا لله ندا واسلموا وادوا لكم ان تقسموا في المقاسم
ولا تلبسوا زيا كرى الاعاجم

و كذلك لما قام الزبرقان بن بدر وقال :

نحن الكرام فلاحى يعاد لنا منا الملوك وفيما تنصب البيع
في قصيدة طويلة أجابها حسان بن ثابت بقوله في قصيدة :

ان الذوائب من فخر واخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريره تقوى الاله و كل الخير يصطنع
قوم اذا حاربوا ضرروا عدوهم او حاولوا النفع في اشباعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة ان الخلائق فاعلم شرها البدع
لا يفخزون اذا نالوا عدوهم وان اصابوا فلاخور ولا هلع
كانهم في الوغى والموت مكتنع اسد بجابه في ارساغها فدع
اكرم بقول رسول الله شيختهم اذا تفاوت الاهواء والشيوع
اهدى لهم مدحتى قلب يوازره فيما احب لسان حائك صنع
فسانهم افضل الاحياء كلهم ان جد بالناس جدا القول او سمعوا

فقال الزبرقان بن بدر انه لاشعر من شعراء نبي تميم
وبنى دارم ، ثم اسلم واسلم قومه ، وكذلك اسلم الاقبح بن حابس
رضى الله عنه وكان اشد شعراءه عليه الصلوة والسلام حسان ،
لانه كان يقبل قريشا بالهجو على انسابهم ، وكذلك كان كعب
بن مالك كثير المناقضة لهم و يخوفهم بالحرب ، و عبدالله بن رواحة
يعيرهم بالكسفة ، وكانوا لا يبالون باهاجى حسان ، فلما اسلم من
اسلم منهم وجدوا اهاجيه اشد واشق .

وقد جمعت اشعار حسان بن ثابت في ديوان وطبع
مرات عديدة في الهند وغيرها .

(ثم الجز الاول ويلتزمه الجزء الثانى)

المكتب الأخرى للمؤلف

(الف) المكتب التي قام المؤلف بتحقيقها :

(١) شواكل الحور في شرح هياكل النور (بالعربية)
لملا جلال الدين الدواني ، مع مقدمة وهوامش باللغة
العربية ومقدمة باللغة الانجليزية - (طبع) ٢٥٧
صفحة - ١١٠٧٥ روبية -

(٢) النزهة العنبرية في مدحة خير البرية (بالعربية) يتضمن
قصائد مولانا باقر آگاه ويلورى المتوفى سنة ١٢٢٠ هـ
في مدح النبي صلى الله عليه وسلم على منوال المعلقات
العشر ، مع مقدمة باللغة العربية ، (سيطبع) .

(٣) ديوان باقر آگاه (بالعربية) يتضمن غزلياته (سيطبع) .

(٤) المقامات الويلورية ، لمولانا باقر آگاه ، يتضمن خمس
مقامات باللغة العربية على منوال المقامات للهمداني
والحريري (سيطبع) .

(٥) شمائل الشماليل بنشر لطايم الرسايل (بالعربية) لمولانا
باقر آگاه ، يتضمن رسايله التي كتبها والتي حررها
نيابة عن النواب محمد علي والاجاه الاول وابنه
النواب امير الامراء الى شريفى مكة الامير غالب
والامير سرور وايضا عن نفسه الى علماء الحجاز
واليمن في فترة ١١٨٥ هـ الى ١٢٠٥ هـ - (سيطبع) .

(٦) کلیات ابجدی الجزء الرابع (بالفارسیة) تألیف الشاعر
الکبیر میر اسمعیل خان ابجدی مدرسی المتوفی
سنة ١٢٠٣ هـ . يتضمن شرحه لمتحفة العراقین الحاقانی
و حقیقت نامہ - (طبع) ١٢٤ صفحة - ١٢ روبیة .
(٧) اصل الاصول فی بیان مطابقة الکشف بالمعقول
والمنقول (بالفارسیة) تألیف السید شاه عبدالقادر
مهربان فخری میلاپوری المدرسی المتوفی سنة ١٢٠٤ هـ
فیه بحث قیم عن علم التصوف ودقایقه . مع مقدمة
سیطرة عن حياة المؤلف وعمله وتصانیفه ، وفیه صورة
السید شاه عبدالقادر فخری (طبع) ٧٦٢ صفحة -
٣٠ روبیة

(٨) نهار اعظم جاهی (بالفارسیة) تألیف مولوی غلام
عبدالقادر ناظر المدرسی المتوفی ١٢٤٣ هـ ، يتضمن
وقائع رحلة النواب اعظم جاه والاجاه الرابع الى
ناگور ، التي قام بها مع رفیقائه فی سنة ١٢٣٨ هـ ،
مع مقدمة طويلة بالفارسیة (٤٩ صفحة) عن حياة
المؤلف واعماله وتصانیفه ، ومقدمة موجزة باللغة
الانجلیزیة ، (طبع) ٢٧٠ صفحة - ١١٠٢٥ روبیة .

(٩) مشنوی همت جوهر (بالفارسیة) تألیف دهر اسمعیل
خان ابجدی ، الذي کتبه فی جواب مشنوی هفت
پیکر للشاعر الکبیر النظامی المکنجوی . ١٦٠ صفحة

١٣ سطرا (طبع)

(١٠) مشوى نوبهار عشق (بالاردية) تاليف النواب غلام اعز الدين خان بهادر مستقيم جنگ نامى المدراسى المتوفى سنة ١٢٤٠ هـ، مع مقدمة باللغة الاردية عن حياة المؤلف واعماله وتصانيفه، (طبع) ١٦٤ صفحة - ٨-٥٠ روية .

(١١) مشوى بارسنان عشق (بالاردية) تاليف النواب المذكور (سيطبع) .

(١٢) مشوى گلزار عشق (بالاردية) تاليف مولانا باقر آگاه . (سيطبع)

(ب) الكتب التى قام المؤلف بترجمتها من الانجليزية الى الاردية :

(١) مختصر تاريخ هند وهو ترجمة كتاب

A Short History of India by Moreland and Chatterjee . روية ١٥ - صفحة ٨٦٦ (طبع)

(٢) نامعلوم انسان (الانسان ذلك المجهول) وهو ترجمة كتاب

Man, the Unknown by Dr Alexis Carrel

(طبع) ٣٧٨ صفحة - ١٥ روية

(ج) المكتب التي قام المؤلف بتأليفها :

(١) امام ابن تيمية (بالاردية) بحث فيه المؤلف عن حياة الامام تقي الدين ابي العباس احمد ابن تيمية الحراني الدمشقي المتوفى سنة ٧٢٨ هـ بحثا دقيقا قيما انيقا جعله معروفا ومقبولا عند كتاب الهند وباكستان . وقد نشر فيه صورة قبر الامام ابن تيمية التي اخدها عند ما زار دمشق في اول فبراير سنة ١٩٥٨ (طبع) ٦٧٦ صفحة - ١٠ روية

(٢) خاوند قاصي بدر الدولة الجزء الاول (بالاردية) بحث فيه المؤلف عن حياة الكاتب الكبير قاصي بدر الدولة الذي توفي في مدراس سنة ١٢٨٠ هـ مع ذكر احوال ابيه واخيه مولوى محمد غوث شرف المالك بهادر المتوفى سنة ١٢٣٨ هـ ومولوى محمد عبد الوهاب مدار الامراء بهادر المتوفى ١٢٨٥ هـ وبيان احوال العلما والمكتتاب الكبار من عائلتهم (طبع) ٥٣٨ صفحة - ٥٠ - ٨ روية

(٣) Arabic and Persian in Carnatic 1710 1960 (باللغة الانجليزية) فيه بحث قيم عن تاريخ آداب اللغة من العربية والفارسية في كرناتك في فترة ١٧١٠ - ١٩٦٠ م (طبع) ٦٠٤ صفحات ٨٠٠ روية

(٤) القراءة العربية الجزء الاول (بالعربية) (طبع) ١٠٦ صفحات - ٥ روية

(د) المقالات القيمة العلمية التي قام المؤلف بتحريرها ونشرها :

(١) باقر آگاه (بالاردية) حياته وعمله وشعره وتصانيفه
١٤٥ صفحة .

(٢) قربى (بالاردية) حياة السيد شاه ابى الحسن القربى
الويلورى المتوفى سنة ١١٨٢ هـ ٥٧ صفحة .

(٣) قاضى رضى الدين مرتضى (بالاردية) حياة القاضى
المذكور الذى كان شاعرا او كاتباً كبيراً من بيحافور
توفى سنة ٩٧٢ ، له كتاب معروف باسم تحفة الحقيق
٤١ صفحة .

(٤) بحر العلوم (بالاردية) حياة مولانا عبد العلى الكهنوى
الذى استدعاه النواب محمد على والاجاه الى مدراس ،
وجعله عميدا لمدرسته ، فتوفى فى مدراس سنة ١٢٢٥ هـ
ودفن فى جنب مسجد والا جاهى مدراس ، ٥٨ صفحة
(٥) حافظ احمد خان (بالا نجليزية) حياة حافظ احمد خان
المدراسى المتوفى ١٢٤٢ هـ الذى كان ماهرا فى علم
الفلك والرياضيات ، ٢٤ صفحة .

(٦) امية بن ابى الصلت (بالعربية) حياته وعمله وشعره ،
٥١ صفحة .

(٧) امير خسرو الدهلوى (بالعربية) حياته وعمله ودواوينه
وتأليفاته ، ٦٦ صفحة .

(٨) Persian Literature In Tamil Nadu (بالا نجلیزیت)
بحث موجز عن الادب الفارسی فی ولاية تامل نادو
(مدراس) ١١ صفحة .

(٩) دیبى پرشاد سحر (بالا نجلیزیت) حیاة الکاتب والشاعر
الکبیر دیبى پرشاد سحر ، ١٢ صفحة .

(١٠) جمهوریه هند میں مسلمانوں کا نظام تعلیم کیا هو ؟
(ماذ ایكون نظام التعلیم للمسلمین فی الجمهوریه الهندیه)
(بالاردیه) بحث قیم عن مناهج الدراسة التى تناسب
المسلمین فی الهند فی هذا الزمان فی ١٥٠ صفحة
(لم یطبع)

اطلب من (١) دار سلطانه للطباعة والنشر مدراس ١٨ :-

(٢) حافظه هاؤس - ٦ شارع ميلابورن مدراس ١٤

بالعربية

(١) القراءة المفيدة الجزء الاول للاستاذ محمد يوسف كوكن رويتان

(٢) القراءة المفيدة الجزء الرابع

للاستاذ احمد الشرقاوى رويتان

(٣) كتاب الادب (من مشكوة المصاييح) رويتان ونصف

(٤) القراءة العربية الجزء الاول

للاستاذ محمد يوسف كوكن عمرى خمس رويات

(٥) العرب وآدابهم للاستاذ محمد يوسف كوكن عمرى

الجزء الاول ثلث رويات -

الجزء الثانى خمس رويات

بالانجليزية

Islam and Modern Challenges (١)

by Syed Abdul Wahab Saheb Bukhari

خمس رويات

Arabic and Persian in Carnatic (٢)

1710 - 1960

by Md. Yousuf Kokan

ثمانون روية

فهرس الكتاب

صفحة	صفحة	
١٨	١ - ٥	كلمة المؤلف
٢٠	١	العرب قبل الاسلام
٢٣	١	شبه جزيرة العرب
٢٣	٥	من هم العرب
٢٧	٥	العرب البائدة
٢٨	٦	العرب الباقية
	٧	اول من تكلم باللغة العربية
٢٩	٨	دولة معين
	٨	دولة سبأ
٣٣	٩	الحيريون والتبابعة
	١٠	القبائل القحطانية
٣٣	١٠	دول كندة ولخم وغسان
	١١	دولة اللخمين
٣٥	١٤	دولة غسان
٣٥	١٦	الغذانية
		استقلال عرب الحجاز
		حرب البسوس
		حرب داحس وغبراء
		ولاية البيت
		صفات العرب وديانتهم
		اللغة العربية
		مميزات اللغة العربية
		وخصائصها
		الشعر والشعراء في
		العهد الجاهلي
		الشعر وتأثيره في نفوس
		العرب
		هل علقت المعلقات
		بالكعبة ؟
		امرؤ القيس

صفحة	صفحة
٧٣	طرفة بن العبد ٣٨
٧٦	زهير بن ابي سلمى ٣٩
٨٣	لميد بن ربيعة العامري ٤٢
٨٦	عمرو بن كلثوم ٤٤
	الحارث بن حلزة ٤٦
	انابغة الذبياني ٤٨
٨٧	الصحيفة ٤٨
٨٨	الاعشى ٥٠
٩١	عترة ٥١
٩٤	عميد بن الابرص ٥٣
٩٥	امية بن ابي الصلت ٥٧
٩٦	السموال بن عاديا ٥٩
٩٩	الخنساء ٦٠
١٠٠	المرأة في الجاهلية ٦٢
١٠٤	الخطابة ٦٥
١٠٥	قس بن ساعدة الايادي ٦٦
١٠٦	البعثة النبوية ٦٩
١٠٨	اديان العرب ٦٩
	ابرهة الاشرم وقصة الفيل ٧٣
	بداية الاسلام ٧٦
	بدء الوحي ٨٣
	هجرة المسلمين الى الحبشة ٨٦
	دخول الشعب وخبر ٨٦
	الصحيفة ٨٧
	هجرة النبي الى المدينة ٨٨
	غزوة بدر ٩١
	قتل كعب اليهودي ٩٤
	غزوة احد ٩٥
	غزوة الاحزاب ٩٦
	غزوة بني قريظة ٩٩
	صاح جديبية ١٠٠
	غزوة خيبر ١٠٤
	غزوة موتة ١٠٥
	غزوة اليمام ١٠٦
	غزوة حنين ١٠٨

١٩٤ زوجات النبي

١٠٨ رسائله الى الملوك

الادب والشعر في عهد

١١٠ غزوة تبوك

١١٥ النبي صلعم

١١١ عام الوفود

١١٥ القرآن وسنة النبي صلعم

١١١ حجة الوداع

١١٧ كعب بن زهير

١١٢ وفات النبي صلعم

١١٧ حسان بن ثابت



AL-ARABU WA ADABU HUM

[History of the Arabs & their Literature]

Part I

by

Afzal-ul-Ulama Md Yousuf Kokan, M A , M Litt
Head of Dept of Arabic, Persian & Urdu (Rtd)
University of Madras
Principal, Jamalia Arabic College, Madras 12

Published by

HAFIZA HOUSE
13 Mylapuran Street
Madras — 14

Phone 847980

